منصات
للأبحاث و الدراسات الاجتماعية

الصحافة الورقية بالمغرب و أزمة كوفيد 19

دراسة تحليلية لمضمون الصحف ومواقف الصحفيين

المدير المشرف: د.عزيز مشواط

المحرر الرئيسي: د.محسن محمد الرحوتي

2022

منصات
للأبحاث و الدراسات الاجتماعية

الصحافة الورقية بالمغرب و أزمة كوفيد 19

دراسة تحليلية لمضمون الصحف ومواقف الصحفيين

المدير المشرف: د.عزيز مشواط

المحرر الرئيسي: د.محسن محمد الرحوتي

Dépôt Légal : 2021MO5592
ISBN : 978-9920-9283-0-4

2022

أنجز هذا البحث بدعم من برنامج دعم للسفارة البريطانية

منصات
للأبحاث و الدراسات الاجتماعية

منصات للأبحاث والدراسات الاجتماعية

3زنقة بن أبي الصلت، بيلفيدير، الدار البيضاء. المغرب
الهاتف: 00212520128495
www.menassat.org
contact@menassat.org

منصات للأبحاث والدراسات الاجتماعية هي مؤسسة بحثية ومنظمة غير ربحية مقرها الدار البيضاء، المغرب. تهدف المؤسسة إلى القيام بالبحوث المعمقة الهادفة إلى تطوير أفكار ريادية وتطبيق المقاربات المختلفة بخصوص الإشكاليات الاجتماعية سواء على الصعيد المحلي، الوطني أو الإقليمي. تضم منصات العديد من الباحثين المرموقين الذين يحددون أجندة البحث للمؤسسة وخطها البحثي. وتشتغل كفضاء مفتوح للبحث العلمي حيث يعمل الباحثون المشكلون للمنظمة على وضع جدول الأبحاث واستراتيجياته وأشكال التعاون مع باقي الشركاء. وتتكون منصات من باحثين ينتمون إلى مختلف مجالات العلوم الإنسانية حيث تضم باحثين رئيسيين ومساعدين ومتعاونين.

الصحافة الورقية بالمغرب و أزمة كوفيد 19

دراسة تحليلية لمضمون الصحف ومواقف الصحفيين

المدير المشرف: د.عزيز مشواط

المحرر الرئيسي: د.محسن محمد الرحوتي

الباحثون الرئيسيون:
د.عبد الرحمان الزكريتي، د.هدى العدوني،
د.إكرام عدنني، د.أحلام قفص، د.أنس بن الشيخ

الباحثون المساعدون:
خولة السيتي، سارة عازم، دليلة موكاع

شارك في البحث الميداني:
إسماعيل أبولبارود، سكينة لبصير، هاجر شهير،
تسنيم اعزيبو، جوهر الراجي، شيماء أيت القاضي

المحتوى

تقديم 4
شكر وتقدير 8
الملخص التنفيذي 9
الفصل الأول: الإطار العام النظري والمنهجي 12
الصحافة والأزمات الوبائية، أية علاقة؟ 12
السياق والإشكالية: إعلام يكشف واقع الأزمة وأزمة تكشف واقع الإعلام 15
أ-لمحة عن تاريخ الصحافة بالمغرب 17
ب-لمحة عن تاريخ الأوبئة بالمغرب: 18
منهجية البحث: دراسة المضمون لا الوقع 20
الدراسة : حدودها الموضوعية ومحدودية زمنها 21
الفصل الثاني: مضمون الصحف واتجاهات الخطاب 23
التغطية الإعلامية ونموذج المراحل الثلاثة 23
متغير الحزبي وغير الحزبي في التغطية الإعلامية للأزمة 27
العناوين المحيلة على الفيروس: انخراط متفاوت في التحذير من الخطر 27
حجم العناوين وضبط إيقاع الأزمة 28
"مساحة" الفيروس في الصفحة الأولى وصدمة هشاشة البنيات الصحية 29
مجالات تركيز المواد الصحفية: تبادل الترتيب بين الاجتماعي والسياسي 31
جندرة ضعيفة: نقص الثقافة الفارقية أم وحدة الخطر الصحي؟ 34
الفصل الثاني: الفعل الصحفي وشروط إنتاج المواد الإعلامية في زمن الجائحة 40
من النشر الورقي إلى النشر الإلكتروني : هشاشة بأوجه متعددة 40
الصحفي في زمن الجائحة سؤال الهوية والدور الوظيفي 41
الحرية الصحفية والرقابة في زمن الجائحة 46
التغطية الإعلامية زمن الجائحة: ذكورية طاغية 48
خلاصات واستنتاجات 49
التوصيات 51
الملاحق 52
قائمة الصحفيين المستجوبين 52
لائحة الصحف التي شملها البحث 53
شبكة تحليل المضمون 55
دليل المقابلة الخاص بالصحفيين والصحافيات 56

تقديم

في سياق حالة الطوارئ الصحية الناتجة عن تسجيل حالات الإصابة بالفيروس التاجي المعروف بـ"كوفيد19"، علقت الحكومة المغربية طبع ونشر وتوزيع جميع الصحف والمجلات الورقية ابتداء من الأحد 22 مارس 2020. واضطرت جميع الصحف إلى توقيف طبع نسخها الورقية، بينما واصلت النشر الإلكتروني المجاني.

جاءت هذ ه الوضعية الجديدة، لتزيد من متاعب الصحف الورقية بالمغرب، على غرار كل مثيلاتها عبر العالم. وهي التي كانت تواجه مسبقا أزمات وجود بفعل المنافسة التي تواجهها من قبل وسائل الإعلام البديلة والإعلام الإلكتروني وما يسمى بالصحافة المواطنة. لكن، وبمقابل هشاشة وضعها على مستوى نسبة المقروئية، وتراجع سوق الإعلانات بها لصالح البدائل الإلكترونية، لا يزال هذا النوع من الإعلام، عبر العالم، يحظى بقدر أكبر من الثقة، حيث تثق نسبة مهمة من المواطنين عادة في ما تنشره الجرائد الورقية ويعتبرون خطابها ذا نسبة معقولة من المصداقية مقارنة بباقي الوسائل البديلة[1].

من الناحية النظرية، تعتبر وضعية الصحافة الورقية خلال فترة جائحة "كوفيد 19" حالة مثالية لدراسة وضعية القطاع خلال فترة أزمة، وذلك لاعتبارات أربع:

- أولها أن دلالات مفهوم الأزمة في مختلف العلوم الإنسانية، تحيل على حالة يتكشف خلالها ما كان مخفيا، متضمنا، افتراضيا داخل مجتمع أو فرد[2]. بحيث أن للأزمات، بمختلف أنواعها، قدرات كشفية كبيرة.[3]
- ثاني الاعتبارات، أنه، ورغم تعدد أبعاد الأزمة، فهي غالبا وسرعان ما تتحول إلى حدث وظواهر تهتم بها وسائل الإعلام بمختلف أشكالها.

---

[1] Centro de investigaciones y estudios superiores en antropologia social. La representacion sobre la epidemia d'influenza H1N1 en México en 2009. P : 15.

[2] - E. Morin, «pour une théorie de la crise », sociologie, (paris : FAYARD, 1994) p : 190.

[3] Ringo Ma PhD (2005) Media, Crisis, and SARS: An Introduction, Asian Journal of Communication, 15:3, 241-246, https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/01292980500260656. Consulté le 17-10-2020.

- الاعتبار الثالث يتأسس على أن الأزمة بناء اجتماعي. بحيث يمكن أن تولد نفس الكارثة مستويات متمايزة من الأزمات داخل مجتمعات مختلفة بسبب تصوراتها ومقارباتها المختلفة لإدارة الأزمات.
- الاعتبار الأخير يقوم على أن وسائل الإعلام، بصفة عامة، ترتبط بأية أزمة ارتباطا وثيقا، بفعل الحاجة المكثفة للتواصل الإنساني وتعقيدات ذلك وقت الضيق والشدة من جهة، وبفعل علاقة وسائط الإعلام برصد وتتبع ومواكبة الأشكال المختلفة من صنع القرار وتضارب مصالح الفاعلين المتدخلين في الأزمة من جهة أخرى.

لا يمكننا الجزم فعلا بأن لوسائل الإعلام القدرة على تحديد توجهات الناس، ولكننا نستطيع القول بأنها تمتلك القدرة على بعض التأثير في توجهاتهم، وقد تساهم في تغيير آرائهم حول الأشياء والقضايا. فتصبح بذلك هذه الوسائط التي يتركز دورها الأساسي في الإعلام، أداة في يد عدد من الفاعلين لتمرير رسائلهم.

إن الطريقة التي يتعاطى بها الإعلام بصفة عامة والصحف بصفة خاصة مع الأزمة من حيث المساحة المخصصة للعناوين المحيلة عليها تبقى دالة، لأن المكان الذي يحتله موضوع معين داخل الجريدة أو أي وسيلة إعلامية يعكس المكانة والأهمية الممنوحة له في مجال الاهتمام العام، كما يكشف عن رهانات الفاعلين الصحفيين وتمثلاتهم وخارطة الفعل الذي ينخرطون فيه.

في ظل هذه التصورات النظرية، وفي ظل سياق الوضعية الاستثنائية التي فرضتها الأزمة الوبائية، لا تسعى هذه الدراسة إلى تحليل وضعية الإعلام المغربي، بل ستكتفي، في حدود الإمكانيات المتاحة والحيز الزمني لهذه الدراسة، بتحليل وضعية عينة من ست صحف ورقية، ثلاث منها حزبية وثلاث غير حزبية، وذلك جوابا عن سؤال إشكالي مركزي منطوقه ومضمونه: كيف تفاعلت الصحافة المغربية الورقية، حزبية وغير حزبية، مع هذه الأزمة الوبائية؟ وعن هذا السؤال المركزي تتفرع العديد من الأسئلة الفرعية: ما شكل، وما مضمون، وما اتجاه الخطاب الذي أنتجته؟ وكيف حضرت مختلف المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية في خطاب هذه الصحف؟ وهل تفاوتت مضامين الخطابات المنتجة خلال هذه الأزمة تبعا لمتغيري الحزبية وغير الحزبية؟ وهل شعر الفاعل الإعلامي بثقل الأزمة من حيث تأثيرها على هامش حريته أم أن "حرية التعبير" بقيت خارج تأثير سياق الأزمة؟

يهتم الشق الميداني لدراستنا بتحليل وضعية عينة من ستة صحف، ثلاثة منها حزبية وهي العلم والاتحاد الاشتراكي وبيان اليوم والأخرى غير حزبية وهي أخبار اليوم والمساء والأحداث المغربية. ويغطي هذا البحث 96 عددا نشرتها مؤسساتها

الصحفية خلال مرحلة الحجر الصحي الشامل ما بين أبريل ويونيو2020. وقد تم اختيار الأعداد بطريقة عشوائية من خلال اختيار عددين من بداية الشهر وآخرين من منتصفه وعددين من الأسبوع الأخير. واعتمدت تقنية البحث على بناء «شبكة لتحليل المضمون »[4] طورها فريق منصات هدفت إلى الرصد الكمي لمضمون الصحف من خلال رصد سمات الخطاب المنتج وتوجهاته نحو بث الطمأنة أو الذعر نحو التحسيس أو التبرير أو النقد.

وبالرغم من أهمية المعطيات الكمية الناتجة عن هذه الأداة وصرامتها، حيث تم عرضها على العديد من الخبراء والصحفيين لتجويدها وتطويرها، إلا أن البحث لا يستقيم دون الاتجاه نحو الفاعل المنتج لهذا الخطاب، وبخاصة وأن خلق المعنى هو تسلسل معرفي يتم بناؤه بشكل فردي. وانطلاقا من ذلك، طور فريق البحث شبكة للمقابلة[5] في تناسق مع محاور شبكة تحليل المضمون، شبكة هدفت إلى تحليل المعنى الذي يعطيه إثنا عشرة إعلاميا، اشتغلوا خلال مرحلة الحجر الصحي الشامل في مؤسسة إعلامية تصدر جريدة ورقية. ويعتبر الاعتماد على المعنى الذي يعطيه الفاعل الإعلامي كذات فردية لطبيعة هذه الأزمة الوبائية أساسيا في فهمنا لانعكاساتها على هامش حريته، وكيف عاش لحظة وصول الوباء للمغرب والانتقال من النشر الورقي إلى النشر الإلكتروني وكيفية تفاعله مع مختلف الفاعلين المتدخلين في المجال الإعلامي.

وانطلاقا من هذا المزج بين الكمي والكيفي، أنجز الفريق البحثي لمنصات هذا التقرير الذي يعتبر تلخيصا مكثفا لمجهود بحثي جماعي يتضمنه هذا التقرير التركيبي المكون من مقدمة عامة، وثلاثة فصول، وخلاصات وتوصيات.

وننوه إلى أنه بالرغم من أهمية نتائج هذا البحث، التي نستعرض أهمها لاحقا في الملخص التنفيذي، إلا أنه يظل على غرار كافة البحوث في العلوم الإنسانية، عملا محدودا ولا يمكن تعميم نتائجه على كل المشهد الصحفي المغربي. فلا تمثل العينة المدروسة كل الطيف الإعلامي المغربي، ولا تشكل سوى جزء من المشهد الإعلامي المغربي كما أن البحث لم يشمل الصحف الفرنكفونية. واعتمدنا فقط على متغيري الحزبية وغير الحزبية في اختيار عينة الدراسة في حين أن هناك متغيرات أخرى يمكن إدماجها من قبيل تاريخ التأسيس، والنموذج الاقتصادي للمؤسسات الصحفية، طبيعة الفاعلين المؤسسين والمالكين للمؤسسة أو المساهمين في رأسمالها، وعدد العاملين بها، والدعم الذي تحصل عليه وغيرها.

[4] - انظر شبكة تحليل المضمون التي طورها فريق منصات في الملحق.

[5] -انظر دليل المقابلة مع الصحفيين والصحفيات في الملحق.

ولذلك، تبقى هذه النتائج نسبية وخاضعة بشكل أو بآخر لقدر من ذاتية الباحثين، وإن حاولنا من خلال بناء أدواتنا البحثية الانضباط للصرامة المنهجية، إلا أن الأمر ليس باليسير خاصة وأننا ندرس موضوعا يتكلم، حيث يتداخل الموضوعي والذاتي.

شكر وتقدير

يعتبر هذا العمل نتاج عمل جماعي لفريق منصات للأبحاث والدراسات الاجتماعية تحت إشراف الدكتور عزيز مشواط والدكتور محسن محمد الرحوتي. وساهم فيه كل باحثي منصات بمختلف تخصصاتهم. وشارك في إعداد المادة الأولية كل من د.عبد الرحمان الزكريتي، د.هدى العدوني، د.إكرام عدنني، ود.أحلام قفص، ود.أنس بن الشيخ.

وأعدت كل من خولة السيتي وسارة عازم تحت إشراف د. مشواط الأدوات البحثية الأولية المتكونة من شبكة تحليل مضمون الصحف ودليل المقابلة، وقام في وقت لاحق بتطويرها د.محسن الرحوتي من خلال ورقة منهجية تمت مناقشتها مع باقي أعضاء الفريق وعرضها على مجموعة من الخبراء. وقام بإعداد النسخة الأولية للأدوات البحثية وتنفيذ جزء كبير من العمل الميداني كل من خولة السيتي، سارة عازم. وشارك أيضا في عمليات تفريغ المعطيات الكمية دليلة موكاع، إسماعيل أبولبارود، سكينة لبصير، شهير هاجر، تسنيم اعزيبو، جوهر الراجي، شيماء أيت القاضي. وساعد مشكورا المدير الفني لمنصات السيد أنس السيتي على تجويد أدوات تفريغ المعطيات الميدانية التي تكفلت بإعدادها الأولي دليلة موكاع.

وبهذه المناسبة نتقدم بالشكر الجزيل لبرنامج دعم التابع للسفارة البريطانية على دعمهم لهذا المشروع، ونخص بالذكر كل من منسق المشروع السيد فرونسوا دروني ومسؤول قطب البحث في برنامج دعم د. مصطفى المناصفي. وهي مناسبة أيضا لتجديد الشكر لكل الصحفيين الذين لم يبخلوا علينا بوقتهم وإفاداتهم أثناء المقابلات التي تفضلوا بقبول إجرائها مع باحثي منصات، بالرغم من كل الضغط الذي كانوا يعانون منه بفعل ظروف الجائحة.

وخلال إعداد النسخة النهائية لهذا التقرير، قام بقراءته عدد من الصحفيين والخبراء الذين أفادونا بتصويباتهم ومقترحات لتجويد البحث وتطويره. وهي فرصة لتجديد الشكر لكل من حكيم بلمداحي نائب رئيس التحرير بجريدة الأحداث المغربية الذي أمدنا بجزء من مادة البحث. ولم يكن ممكنا القيام بهذا البحث والاتصال بالصحفيين والصحفيات بدون المساهمة الفعلية والمساعدة للصحفي المقتدر عادل الكرموسي.

الملخص التنفيذي

كشفت المضامين التي روجتها الصحف والمعنى الذي أعطاه صحافيوها للأزمة، النتائج التالية:

- شكلت أزمة كوفيد 19 خطرا مهددا لوجود المؤسسات الصحفية والأفراد على حد سواء.

- هيمنت أخبار الوباء على الصفحات الأولى للصحف المدروسة، خلال فترة الحجر الشامل، بحيث احتلت المساحة المخصصة له أكثر من 80% من الصفحات الأولى لتلك الصحف. كما تم تسجيل تراجع المواد الإعلامية الهادفة إلى تحقيق المتعة والإثارة، بالإضافة إلى تراجع المساحات المخصصة للإشهار كما الرياضة والفن نظرا للتوقف الذي طال كل الأنشطة، وتعبئة الجسم الصحافي بكامله بالصحيفة لتغطية أخبار الوباء.

- أفادت النتائج غياب خطة تواصلية خاصة بالأزمة معدة مسبقا لدى إدارة عينة الصحف المدروسة.

- عاشت الصحف عملية الانتقال من النشر الورقي إلى النشر الإلكتروني كامتحان ينبغي النجاح فيه للاستمرار والبقاء. رغم ما فرض من إكراهات تقنية ولوجيستيكية للاستمرار في التغطية الإعلامية، وحتى مالية نظرا لمجانيته.

- أمام غياب خطة تواصلية مسبقة خاصة بالأزمة لدى الصحف المدروسة، وإكراهات وضغوطات النشر الإلكتروني، تم التعويض عن ذلك بالتدقيق في مصادر المعلومة، بتعزيز الرقابة الذاتية، الإعلاء من المسؤولية الاجتماعية، والالتزام بأخلاقيات المهنة من جهة، واتباع ما تقوله الجهات الرسمية.

- شكلت الأزمة فرصة للصحفي للتساؤل عن هويته وأدواره في زمن الأزمات وفي تدبيرها. وواجه الصحفيون أسئلة مركزية عن كيفية خلق المعنى الجمعي في هذا الظرف الاستثنائي. وقد عبرت العينة المدروسة، أن ذلك تم عبر المساهمة بمواد إعلامية مسؤولة منسجمة ومتناغمة في نفس الآن

مع سياسات الدولة وتطلعات المجتمع؛ ثم لعب دور الوساطة والاقتراح والضغط المحدود على المؤسسات والنقد البناء والمدروس لعملها واشتغالها.

- مثلت الأزمة الوبائية وإجراءات الحجر الصحي، فرصة للصحفيين لعيش تجربة النشر الإلكتروني. وشكلت الأزمة فرصة لاختبار إمكانياتهم وقدراتهم على التكيف مع لحظة هجينة، عرفت توقفا للنشر الورقي واكتساحا للإعلام الإلكتروني والرقمي.

- أتى على رأس المجالات التي توجهت لها المواد الصحفية إبان زمن الدراسة المجال الطبي والصحي بنسبة تقارب 36%. يتبعها المجال السياسي في المرتبة الثانية بنسبة 32%، مقابل نسبة إحالة تصل إلى حوالي 18% على المجال الاجتماعي. في حين احتل المجال الاقتصادي مرتبة متواضعة بنسبة إحالة تصل إلى ما يفوق قليلا 12%، أما المجال الديني فلم يتعد نسبة 1%.

- كشفت الدراسة، ومن خلال مضمون الصحف ومواقف الصحفيين، أن المؤسسة الأكثر عرضة للاهتمام والنقد في نفس الآن هي المؤسسات الصحية والطبية. تليها الخدمات الاجتماعية، فيما جاء التعليم والأمن في ذيل قائمة المؤسسات المنتقدة، وغاب الاهتمام خلال هذه المرحلة بالمؤسسات الدينية.

- أكدت النتائج مستوى تماثل كبير بين الخطاب الإعلامي المنتج مع استراتيجية الدولة والخطاب الرسمي إلى حد التماهي أحيانا، حيث تراجع الخطاب النقدي مقابل إفساح المجال لخطاب المسؤولية والتحسيس والتوعية والتماهي، وذلك بهدف بناء وعي جمعي متكتل لمواجهة الجائحة.

- كشفت الدراسة، أن الفرق الواضح بين الصحف الحزبية ونظيرتها غير الحزبية في العينة، كان بصدد حدة النقد الموجه للمؤسسات الصحية والتي تفوقت فيها الصحف غير الحزبية على نظيرتها الحزبية. قد يعود ذلك لكون الصحف الحزبية المدروسة تابعة لأحزاب أو قريبة من أحزاب حديثة عهد بتحمل المسؤولية الحكومية أو تناوبت على تدبير قطاع الصحة في الماضي القريب.

- رصدت الدراسة هيمنة الارتباك وخطاب الذعر إلى حد التخويف في نصف الشهر الأول من انتشار الوباء، وجاء خطاب الذعر والتخويف بنسبة ناهزت ثمانين في المئة من المواد المنشورة.

- أبرزت النتائج غيابا شبه كلي، لمقاربة النوع الاجتماعي في مضامين الصحف وعناوينها. وارجعت نسبة مهمة من العينة المستجوبة ذلك إلى ضرورة التعالي عن أي تقسيم على أساس الجنس لمواجهة وباء لا يفرق بين الجنسين بالتركيز على البعد المهني الصحفي.

- حسب المستجوبين شكلت الصحف الورقية المدروسة بشقيها الحزبي وغير الحزبي، حائط صد أساسي أمام الشائعات والأخبار الزائفة. ساعدها في ذلك اعتمادها على مخزونها المهني والتقاليد الإعلامية المهنية في التعاطي مع الخبر واستقاء المعلومة. مما جعلها ورغم كل الصعوبات ومنافسة الإعلام البديل، فاعلا في الحقل الإعلامي بالمغرب بصفته مصدرا موثوقا للمعلومة والخبر.

- أبرزت على الهشاشة التي يعاني منها الجسم الصحفي سواء على مستوى هشاشة الوضع السوسيو-مهني للصحفيين من جهة، عبر تعبيرهم عن الخوف المستمر على وضعيتهم المهنية. ومن جهة أخرى، ضعف أدوات العمل ونقص الاستعداد والتكوين، حيث وجود إقرار عام بانعدام التحضير للأزمات مع عدم وجود خطة تواصلية للأزمات لدى الصحف المدروسة.

- كشفت الدراسة، عن انفتاح ملموس للمؤسسات الرسمية بالمغرب على الصحافة إبان فترة الأزمة، مقارنة بالفترة التي سبقت الوباء. وذلك بتمكين الصحفيين من المعلومات وتأكيد الأخبار أو نفيها وكذا تسهيل مهامهم وتنقلاتهم.

الفصل الأول: الإطار العام النظري والمنهجي

يهدف هذا الفصل إلى وضع بعض الأسس النظرية والمنهجية التي تعتمدها الدراسة. فالأزمة وإن كانت ملازمة للوجود البشري، إلا أنها كموضوع للدراسة العلمية، ترتبط بتلك الرغبة في عقلنة السلوك الإنساني والتحكم فيه، بل والتحكم أيضا في اللايقين واللا متوقع الذي صار ملازما للتطور الإنساني. وبالإضافة إلى هذا التأطير النظري، نستعرض في هذا الفصل دواعي اختيار دراسة الأزمة الوبائية وتأثيرها على الفعل الإعلامي وخاصة الصحافة الورقية. فبقدر ما يلعب الإعلام دور الكاشف بقدر ما تكشف الأزمات طريقة اشتغاله ونواقصه ورهاناته المحتملة. كما يستعرض الفصل الأدوات التي تم تطويرها لإجراء البحث الميداني، ومنهج الدراسة، وحدودها الموضوعية، واقتصارها على دراسة المضمون لا الأثر والتأثير على المتلقي.

الصحافة والأزمات الوبائية، أية علاقة؟

خلال سنة 2020، ظلت مفردة "الأزمة" la crise، الكلمة الأكثر استعمالا للتعبير عن نمط الحياة والعيش المستجد بسبب ظروف جائحة كوفيد 19 التي اجتاحت العالم من أقصاه إلى أقصاه. غير أن هذا الاستعمال الكثيف، يطرح مشكلة الدلالة التي توظف بها " أزمة" في السياقات الاجتماعية واللغوية المختلفة، أي مشكلة المعنى. فإذا كانت في اللغة العربية تحيل على معاني الشدة والضيق والمحنة...، نجدها في اللغتين اللاتينية crisis والإغريقية kipew تحيل على وضعية تحتاج لأخذ قرار أو أمر يصعب ضبطه والتحكم فيه. في حين نجدها في اللغة الصينية مركبة من مفردتين Ji-wet الأولى تدل على الخطر والثانية تدل على فرصة سانحة.[6]

أما في البحوث الاجتماعية والسياسية، فالأزمة وفق تعريف أولي، يمكن أن تدل على ظرف انتقالي يتسم بعدم التوازن، ويمثل نقطة تحول تحدد في ضوئها أحداث مستقبلية تؤدي لتغيير كبير[7]. غير أن ذلك لا يعني إقرارا بوجودها الضروري والموضوعي، فهي بارتباطها بمفاهيم الخطر والتهديد للبشر تبنى اجتماعيا

[6] - صلاح عبد الحميد، الإعلام وإدارة الأزمات، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة،2013، ص.10.

[7] - Stein Jess and Laurence Urdang, The Random House Dictionary of the English language (New york: Random House, 1969) p 491.

وتحددها السياقات الثقافية، بحيث لا يمكن دراستها ومقاربتها بمعزل عن ذلك كما ترى Mary Douglas.[8]

فالأزمات بأشكالها المختلفة، ليست فقط عبارة عن ظواهر ووقائع وأحداث، وإنما لها أبعاد وآثار تمتد لما هو إنساني جماعي واجتماعي، رمزي وثقافي، ما دامت تحمل معها المعاناة والآلام للذات الإنسانية. هذا الأخير، وفي محاولة منه للتعامل معها، وتدبيرها بما يحفظ وجوده وكينونته يعمل على بناء تمثلات وتصورات، مواقف وقيم، سلوكات وممارسات للتفاعل معها.

ومقارنة بالأزمات المختلفة، يمكن اعتبار الأزمة الوبائية (وهي أزمة كوفيد 19 في دراستنا) باعتبارها موجة مرضية معدية، خطرا له خصوصيته، بما أنها تحيل عموما على إصابة عدد كبير من الأشخاص في نفس الوقت وبذات الوباء. وتنشر بالتالي خوفا معمما. والخوف من العدوى المميتة، متجذر بعمق في التاريخ الاجتماعي والثقافي لمختلف المجتمعات الانسانية.

كما أن انتشار الوباء، أو بعبارة أدق انتقال العدوى بين البشر، ليس تعبيرا عن أزمة صحية عامة فحسب، أي باعتبارها حدثا بيولوجيا محضا فقط؛ بل يصبح لها بفعل هذا الانتشار الجماعي أبعادا اجتماعية و ثقافية، لدرجة يمكنها أن تجعل من الفيروس وهو يتفشى في المكان، وفي مسار زمني فاعلا اجتماعيا، قادر على إطلاق و توليد عدد كبير من السلوكيات لدى الناس بتعبير برونو لاتور B.Latour9 وبناء تمثلات جديدة فيه جرعات عالية من اللايقين واللا أمان، بحيث يبدو العالم منفلت وخارج عن سيطرة أفراده runaway world كما يقول جيدنز A.Giddens10. هناك إذن بناء اجتماعي للأزمة الوبائية باعتبارها كذلك. هذا البناء الاجتماعي للأزمة الوبائية في المجتمعات المعاصرة، تلعب فيه وسائل الإعلام الجماهيرية المختلفة دورا كبيرا

---

[8] - Mary Douglas, Risk and Blame: Essays in Cultural Theory (London: Routledge, 1994).

[9] - Olivier Borraz, « la science est-elle une sociologie ? apropos des travaux de B.Latour et M.Callon, in POLITIX, vol 3, 1990, p.139.

[10] - Anthony Giddens, Runaway world: how globalization is reshaping our lives (London: profile books, 1999) pp- 18- 23.

لا يمكن تجاهله، باعتبارها وسائل للإخبار والتواصل، ووسائل للتثقيف الجماهيري كما يرى كازنوف J.Cazeneuve،[11] أو التشكيل الثقافي la configuration culturelle بلغة نوربرت إلياس N.Elias12. ولكن أيضا باعتبارها سلطة تأثير تتدخل لفرض مواضيع راهنة تساهم بشكل واسع فيما ينبغي أن يدمج في أفق معارف الناس وما يجب أن يقصى منها. [13]

وما يجمع الأزمات المختلفة بما فيها الأزمات الوبائية، هو كونها تتحول بسرعة إلى حدث إعلامي، يحوز على اهتمام مختلف وسائل الإعلام. فالأزمة الوبائية تتضمن أغلب معايير القيمة الإخبارية التي يبحث عنها الفاعل الإعلامي. والتي تتضمن الظهور والتفشي المفاجئ لعدوى أو وباء معين، مع عدم القدرة على التنبؤ بشدة الوباء من عكسه بحيث تعتبر هذه القيمة الإخبارية الأخيرة، حاسمة في الإبلاغ عن المخاطر الجديدة بعد تفشي فيروس مستجد، من الصعوبة بمكان التنبؤ بمدى سرعة انتشاره، ومدى خطورة الأعراض، وعدد الأشخاص الذين قد يموتون بسببه. وبالتالي حجم الخسائر الديموغرافية، الاجتماعية والاقتصادية التي يمكن أن يتحملها المجتمع الذي يغزوه الوباء.

[11] Jean Cazeneuve, les communications de mass, (paris, Denoël. 1976) p : 106- 109.

[12] Rémy Rieffel, « L'élite journalistique et le débat démocratique ; l'exemple de la culture »
Matériaux pour l'histoire de notre temps, Année 1997, N : 46, p : 46-47
Fait partie d'un numéro thématique : Médias dans le mouvement social contemporain
https://www.persee.fr/doc/mat_0769-3206_1997_num_46_1_402118 consulté le 10-12-2020.

[13] - Peter LM Vasterman, Nel Ruigrok. (2013) « Pandemic alarm in the Dutch media: Media coverage of the 2009 influenza A (H1N1) pandemic and the role of the expert sources », European Journal of Communication, 28(4), pp. 436–453.

https://journals.sagepub.com/doi/10.1177/0267323113486235?icid=int.sj-full-text.similar-articles.2 consulté le 11-12-2020.

كما أن الإعلام، يصبغ المزيد من القيمة والأهمية، على مواده المتعلقة بالأزمات الوبائية؛ عندما يبني سردية مبنية على مخزون صور محفوظة لطواعين القرون الوسطى، الكوليرا، والأنفلونزا الإسبانية بعد الحرب العالمية الأولى وغيرها. فيتم تنشيط كل هذه الصور في وسائل الإعلام بعد الإعلان عن اكتشاف فيروسي جديد. بشكل عام يتم استخدام الإطار التاريخي لبناء قصة إخبارية، من حيث الأسباب والتوقعات، الحلول والمسؤوليات. مع تزامن كل ذلك مع صعوبة شروط حياة الجماعة خلال مرحلة التفشي الآنية مقارنة مع السابق، والتصور السلبي للوضع الراهن والتشارك الجماعي في المخاطر. لتصبح لحظة تفشي الفيروس القاتل، لحظة فاصلة بين ما قبل ظهور الفيروس وما بعده.

كما لا ينبغي أن نهمل ذلك البعد البراغماتي المصلحي، الذي يحكم الممارسة الإعلامية المتعلقة بالأزمة الوبائية. فخصوصيتها كحدث وتداولها الكثيف، يجعلها تتحول على موجات إخبارية ضخمة سريعة التطور، تتشاركها جميع وسائل الإعلام لتأخذ في الأخير شكل " ضجات إعلامية" tapage médiatique تتأسس على نشاط إعلامي دافق يخلق ردود فعل إيقاعية تتقوى باطراد من خلال عمليات إنتاج المعلومة أو الخبر، ونشره للاستفادة من المتابعة المرتفعة التي تمنحه الصدى الواسع وشرعية التداول الجماهيري. كما قد تخلق الضجة الإعلامية اهتماما خاصا بالحدث لدى الحكومات والمؤسسات أو وسيلة للضغط على هذه الأخيرة لدفعها للتصرف في هذا الاتجاه أو ذاك.[14]

يتبين إذن، أن الصحافة تستطيع بناء الحدث الوبائي كأزمة حقيقية غير مصطنعة، عبر توليد تصور معين للمخاطر الفعلية أو المتوقعة، وعبر تضمينه في "قصة إخبارية" تحمل معنى معين، ينبغي نقله للمتلقي وإقناعه به.

وبناء على ما سبق، يمكن القول إن اهتمام دراستنا نظريا وتحليليا، سينصب على صحافة الوباء في نقطة التقائها بصحافة الأزمات وصحافة المخاطر.

السياق والإشكالية: إعلام يكشف واقع الأزمة وأزمة تكشف واقع الإعلام

ظهر فيروس سارس كوف SARS Cov 2 الذي سيحمل فيما بعد تسمية كوفيد 19 covid19، بمدينة ووهان الصينية في دجنبر 2019. وفي 30 يناير 2020 ستصنفه منظمة الصحة العالمية كوباء عالمي، وذلك بعد أن تم رصده في أكثر من 200 دولة.

وبخصوص المغرب، رصدت المصالح المختصة أولى حالات كوفيد 19 في أواخر فبراير من نفس السنة. وعلى غرار دول عديدة، لجأت السلطات العمومية إلى إعلان

[14] -Noël-Jean Mazen, SIDA et MVIH. La pandémie, la peur et le droit, Sciences Sociales et Santé Année 1989 7-1 pp. 37-80

حالة الطوارئ الصحية وإجراءات الإغلاق العام والحد من تنقل الأفراد، كوسيلة احترازية لمكافحة انتشار فيروس واجهت مختبرات العالم العلمية استحالة فك شفرته وألغازه للسيطرة عليه. وهكذا، عاش المغرب تحت ظل هذه الإجراءات ما بين 22 مارس 2020 تاريخ فرضها، و30 يونيو تاريخ التخفيف الجزئي منها حسب المناطق والجهات، مع تمديد مستمر لحالة الطوارئ الصحية لمكافحة فيروس لا يريد أن يغادر.

مست هذه الأزمة الوبائية بتداعياتها والإجراءات الصارمة المصاحبة لها جميع الفئات الاجتماعية، وجميع القطاعات الاقتصادية والاجتماعية، التربوية والثقافية. كما كشفت الأزمة عن حقائق اجتماعية متعددة من قبيل هشاشة شرائح معينة، واقع المنظومة التعليمية، حالة البنيات الصحية... وغيرها.

وفي خضم هذه الأزمة الوبائية وتداعياتها، سيبرز دور الإعلام بأنواعه كفاعل رئيسي مساهم في تدبيرها وإدارتها بواسطة تدبير المعلومة والخبر المتعلق بها من جهة، وتعديل السلوكيات والتصورات الفردية والجماعية لمكافحة الفيروس من جهة ثانية. غير أن هذه الأزمة الصحية بقدر ما شكلت فرصة أمام الإعلام ليكشف عن أهمية دوره، شكلت أيضا فرصة للكشف عن واقع هذا الإعلام. لنكون أمام واقع للكشف المتبادل. إعلام يكشف واقع الأزمة، وأزمة تكشف واقع هذا الإعلام.

تعتبر حالة الإعلام المكتوب بالمغرب حالة نموذجية لدراسة هذا الكشف المتبادل. ففي سياق إعلان حالة الطوارئ الصحية وإجراءات الحجر الصحي، لمكافحة تفشي فيروس كورونا المستجد؛ علقت الحكومة المغربية طبع ونشر وتوزيع جميع الصحف والمجلات الورقية ابتداء من يوم الأحد 22 مارس 2020. مما اضطر جميع الصحف إلى توقيف طبع نسختها الورقية والتحول للنشر الإلكتروني المجاني.

جاءت هذه الوضعية الجديدة، لتزيد من متاعب الصحف الورقية، على غرار مثيلاتها عبر العالم، التي كانت قبل الجائحة تواجه تحديات الوجود والاستمرار بفعل المنافسة القوية التي تواجهها من قبل وسائل الإعلام البديلة والإليكترونية.

إن تركيزنا على الصحافة الورقية في هذه الدراسة، على الرغم من هشاشة وضعها على مستوى مؤشرات المقروئية وتراجع الاستفادة من سوق الإعلانات، يعود بالدرجة الأولى إلى كون هذا النوع من الإعلام، وعبر العالم، ما زال يحظى بقدر أكبر من المصداقية والثقة من طرف الناس مقارنة بباقي الوسائل الإعلامية الإليكترونية. هذا إضافة إلى استمرار قدر من الحرفية والأخلاق المهنية لدى صحفيي الجرائد، مقابل ظواهر التهافت والهواية المرصودة بدرجة عالية في وسائل الإعلام البديلة والشبكات الاجتماعية.

وانطلاقا من كل هذه الاعتبارات، تسعى هذه الدراسة إلى وصف وتحليل وفهم بعض من جوانب الإنتاج الصحفي بالمغرب خلال فترة عصيبة واستثنائية، ألا وهي فترة تصاعد حدة جائحة الكوفيد 19، وما استتبعها من إجراءات احترازية؛ وذلك من خلال الإجابة عن سؤال مركزي عام: كيف تفاعل الحقل الإعلامي، وخاصة الإعلام المكتوب مع هذه الأزمة الوبائية وتداعياتها المختلفة؟

وعن هذا السؤال الأساسي، تتفرع عدة أسئلة ستحصر كما ستوجه الدراسة، بغية تحصيل بعض الأجوبة بشكل منظم:

- ماذا أنتج الإعلام المكتوب بالمغرب خلال الأزمة الوبائية كمواد خبرية وصحفية؟ وكيف كانت وتيرته الزمنية؟
- ماهي مصادر تلك المواد الإعلامية؟ وما هي محددات إنتاجها ونشرها؟
- كيف تعاملت تلك المواد الصحفية مع مختلف المؤسسات والمتدخلين في أزمة الكوفيد؟
- وهل تغير شكل ومحتوى واتجاه تلك المواد تبعا لنوعية الصحيفة إن كانت حزبية أم غير حزبية؟
- وما هي الشروط المهنية التي أنتج فيها الصحفي مواده حول الجائحة؟ وإلى أي حد تأثرت هوامش حريته، وأخلاقيات مهنته تحت ثقل الأزمة وتداعياتها؟

تجدر الإشارة إلى أنه في ثنايا هذه الدراسة ستحضر مقاربة النوع الاجتماعي، سواء عند إنتاج المواد الصحفية أو كموضوع لهذه المواد، في ارتباط بجائحة كورونا في أبعادها وتداعياتها المختلفة. لكن قبل الإجابة عن التساؤلات السابقة، يبقى من الضرورة المعرفية تسليط الضوء على بعض من مراحل تاريخ الصحافة المكتوبة والأوبئة بالمغرب.

أ-لمحة عن تاريخ الصحافة بالمغرب [15]

رغم أن المصادر التاريخية تثبت أن المغرب عرف الطباعة الورقية بواسطة المطبعة الحجرية منذ سنة 1664؛ إلا أن ذلك لم يسهم لا في تطور المواد المطبوعة، ولا في ظهور صحافة ورقية. وهذا راجع لعدم نضج العوامل الضرورية

[15] - اعتمدنا في ذلك على:
- محمد الحبيب الخراز، الصحافة بشمال المغرب من التأسيس إلى الاستقلال،دار النشر غير مذكورة، تطوان، 2012.

- Taib Boutbouqualt, La politique d'information du protectorat français au Maroc : 1912-1256, thèse de doctorat, Soutenue à Paris 2 en 1985. Publiée par le centre national de documentation, Rabat, 1986.

لهذا التطور (اقتصادية واجتماعية، فكرية وسياسية). وكان على المغرب أن ينتظر إلى ما بعد سنة 1820 لتظهر أولى الصحف الورقية على ترابه، بمدن الشمال (سبتة ومليلية المحتلتين، تطوان وطنجة). والجدير بالذكر أن الأجانب الأوروبيون هم من كان وراء إصدارها وليس المغاربة. وذلك في إطار نوع من الدعاية العامة والتوطئة للتدخل الأجنبي.

بعد معاهدة الحماية لسنة 1912، سترتبط الصحافة بالوجود الاستعماري الفرنسي كما الإسباني. وكان وضع هذه الصحافة لصيقا بهذا الوجود وتطوراته، إما بدعمه والترويج له (صحافة موالية للإدارة الاستعمارية)، أو مناهضة ومقاومة له. (صحافة لها تطلع لتحقيق الاستقلال الوطني مثل جريدة العلم التي تأسست سنة 1946).

ستمر الصحافة في المغرب بعد الاستقلال، وبخاصة ما بين سنوات 1956 و1960 بمرحلة بحث عن الذات، أخذت شكل تأرجح بين ما تتطلبه مرحلة الاستقلال وبناء الدولة الوطنية، وكيفية التعامل مع ثقل الإرث الاستعماري السابق على جميع الأصعدة. هذا التأرجح ما زالت بعض من آثاره بادية للآن على شكل الازدواجية اللغوية التي تطبع المنشورات الصحفية بالمغرب.

وما بين سنوات 1960- 1992، بكل تحولاتها واضطراباتها السياسية، سيتقاسم الهيمنة على المشهد الإعلامي صحافة حزبية موالية أو معارضة للنظام السياسي، وصحافة وإعلام رسمي تابع للدولة. وكانت الرهانات سياسية بالأساس في إطار الصراع حول السلطة بين مختلف القوى والفاعلين الاجتماعيين.

مع بداية تسعينيات القرن الماضي، ومع انهيار المعسكر الاشتراكي وسقوط الاتحاد السوفياتي، عرف العالم فترة مد ديموقراطي ليبرالي اكتسح دولا عديدة. وفي سياقها، سيعرف المغرب ظهور صحافة جديدة منفتحة على هذه المستجدات العالمية بنفس ليبرالي واضح، جعلها تتناول قضايا ومواضيع كانت بمثابة طابوهات سياسية واجتماعية غير مسموح الاقتراب منها. مما جعل هذه الصحافة تبدو داخليا وكأنها جاءت لكسر احتكار وهيمنة الصحافة الرسمية كما الحزبية على الساحة الإعلامية منذ ستينيات القرن الماضي وظهرت العديد من النماذج بمظهر الصحافة المستقلة. غير أن وقوف الرأسمال الخاص وراءها، جعلها تبدو كمدافعة عن مصالح اقتصادية وسياسية لفاعلين معينين، بعيدا عن رهانات الأحزاب السياسية. مما جعل التساؤل عن مدى استقلالية هذه الصحف تساؤلا مشروعا.

لقد تمخض هذا المسار التاريخي والسياسي للصحافة المكتوبة بالمغرب عن ساحة تعرف تواجد ثلاثة أنواع من الصحف:

- صحف شبه رسمية (قريبة من الدولة).
- صحف حزبية (موالية أو معارضة للحكومة).
- صحف غير حزبية (حتى لا نقول مستقلة نظرا لالتباس المصطلح).

في هذا البحث، سنتبنى هذه التسميات الثلاث، للموضوعية الدلالية المفترض فيها. وما يهم دراستنا بالتحديد هو الصحف الحزبية والصحف غير الحزبية أما الشبة الرسمية فهناك العديد من الصعوبات لتحديد الخصائص الموضوعية لتصنيفها.

ب-لمحة عن تاريخ الأوبئة بالمغرب:[16]

شهد المغرب في تاريخه الطويل، موجات عديدة من الأوبئة والأمراض المعدية. ويمكن تقسيم زمن الأوبئة في تاريخ المغرب إلى ثلاث حقب أساسية:

حقبة ما قبل القرن 18م: تتميز بنقص المعرفة والمعلومات عن تواريخ ودرجة حدة أوبئة هذه الفترة، لقلة الكتابات التي توثق لها. لكن من خلال بعض كتابات المرحلة مثل كتاب "وصف إفريقيا" لحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي، يمكن أن نستقي منها معلومات تفيد بأن المغاربة عانوا بشكل دوري من المجاعات والأوبئة المعدية وعلى رأسها الطاعون.

حقبة القرنين 18- 19م: لقد ساعدت كتابات المؤرخين التي وصلتنا من تلك المرحلة، عن تكوين معرفة أكثر دقة من الناحية التاريخية حول الأوبئة، التي ضربت مغرب تلك الفترة وعلى رأسها الطاعون والكوليرا. فنجدها تتحدث مثلا عن طاعون 1742، 1751، 1799، طاعون 1818، كوليرا 1835...الخ. تجدر الإشارة إلى أن السياق الاجتماعي والثقافي العام، في هذين القرنين كما القرون التي سبقتهما؛ غلب رؤية تميل نحو تفسير الجوائح والأوبئة بما هو غيبي وديني بدلا من تفسير موضوعي وعقلاني.

حقبة القرن 20 إلى الآن: ستدشن هذه الحقبة بدخول الاستعمارين الفرنسي والإسباني للمغرب سنة 1912. ولم يمر هذا العهد الكولونيالي بدون أن تضرب المغرب موجات من الأوبئة الفتاكة نذكر منها:

1912: انتشار وباء التيفوس وحمى المستنقعات.

1918: ظهور الأنفلونزا الإسبانية بمدن البيضاء وطنجة، بعد عودة الجنود من جبهات قتال الحرب العالمية الأولى.

1928: عودة جائحة التيفوس وحمى المستنقعات.

---

[16] - اعتمدنا على:

- محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين 18 و19، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1992.

- أحمد المكاوي، " إشكالية العدوى والاحتراز من الأوبئة في مغرب القرن 19" في كتاب المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي، 2002.

سنوات الثلاثينات وما بعدها: اجتاحت أوبئة الملاريا، الجذام، الزهري، داء السل عددا من مناطق المغرب بدرجات متفاوتة الخطورة. قبل أن تبدأ بالانحسار تدريجيا. هذا الانحسار النسبي مرده بالدرجة الأولى، هو مواجهة تلك الأوبئة بالاعتماد على المعرفة العلمية والعلوم الطبية ووسائل التلقيح وأدوات الوقاية التي جاء بها المستعمر. إضافة إلى تسريع الإدارة الاستعمارية بتنظيم القطاع الصحي والطب الوقائي، في إطار سياسة صحية استفاد منها "الأهالي" وإن كان منطلقها الخوف على صحة المعمرين الأجانب، ومن انتقال الأوبئة للمتروبول بالضفة الشمالية للبحر الأبيض المتوسط.

ومنذ الاستقلال سنة 1956 إلى الآن، ستستمر الوضعية الوبائية في التحسن بشكل ملحوظ بالمغرب، بحيث لم تجتحه موجات وبائية كما في السابق بفعل مجهودات الدولة الصحية، والتنسيق المكثف مع منظمة الصحة العالمية، والانخراط في البرامج الصحية العالمية المختلفة.

غير أن تسرب فيروس كورونا للمغرب في أواخر فبراير 2020، أدى إلى المس بهذا المكتسب المتمثل في الاستقرار والتحكم في الوضعية الوبائية بالمغرب. لقد أعادت هذه الجائحة، وإن تقاسمها المغرب مع أغلبية دول العالم، تنشيط الذاكرة الجماعية المرتبطة بالجوائح السابقة التي مر بها المغاربة في القرون الماضية، بعد أن تم نسيانها أو تناسيها لحين من الزمن باعتبارها تاريخا مضى.

وهكذا، لم نجد من خلال هذه القراءة التاريخية السريعة، نموذجا محليا لصحافة تتبعت دورة حياة وباء سابق، وتداعياته المختلفة يمكن أن تبني عليه هذه الدراسة. فباستعراضنا السريع لتجربة الصحافة الورقية بالمغرب في الفترات المختلفة (ما قبل الكولونيالية، الكولونيالية، الاستقلال)، ومع تراجع عدد الجوائح الوبائية التي عاصرتها وطابعها المحلي في أغلب الأحيان، لا نكاد نجد نموذجا يمكن البناء عليه في دراستنا الحالية.

منهجية البحث: دراسة المضمون لا الوقع

بما أن طبيعة الموضوع تفرض طريقة دراسته، فإن دراسة وتحليل نصوص صحفية ومحتوى مقابلات موجهة، يحيل بالضرورة على اختيار منهجية تحليل المضمون كوسيلة بحثية ملائمة. وقد تم استخدامه في الدراسة ببعديه الكمي والكيفي. وذلك عن طريق استخدامه كتحليل موضوعاتي l'analyse thématique للكشف عن بعض التصورات والأحكام التي يحملها منتج المحتوى (الصحيفة والصحفي)، وذلك بفحص مكونات ذلك المحتوى وعناصره وإخضاعها لتحليل تصنيفي l'analyse catégorielle بمعنى حساب التكرارات ومقارنة بعض السمات وتضمينها في مقولات دالة أو أصناف. فهذا التحليل يقوم على فرضية كون سمة معينة تظهر مدى أهميتها ودلالتها لدى منتج المحتوى بربطها بمدى تركيزه على تكرارها وتواترها لديه.

كما عملنا على مزج هذا التحليل التصنيفي بتحليل التقييم l'analyse de l'évaluation ليساعد في تحليل تلك الأحكام والتقييمات التي يطلقها منتج المحتوى.

وهكذا سنحصل على نتائج يمكن حسابها إحصائيا، ولكن أيضا يمكن تحليلها كيفيا للكشف عن بعض من سماتها واتجاهاتها. هذا على المستوى الميتودولوجي العام للدراسة. أما على المستوى الإجرائي التقني، فقد اتبع فريق بحث "منصات" الخطوات التالية:

- ❖ تحديد وجمع متن صحفي un corpus للاشتغال عليه. وكانت حصيلة هذا العمل تحديد ست صحف منها ثلاث صحف حزبية (العلم، الاتحاد الاشتراكي، بيان اليوم) وثلاث أخرى غير حزبية (أخبار اليوم، المساء، الأحداث المغربية). وتم التركيز عل 96 عددا منها نشرت خلال مرحلة الحجر الصحي الشامل - أبريل -ماي- يونيو 2020)، وتم اختيار تلك الأعداد بطريقة عشوائية ومنظمة في آن واحد. وذلك باختيار عددين من بداية الشهر، وآخرين في منتصفه، وعددين من الأسبوع الأخير. واقتصر المتن الدروس على الصفحات الأولى بعناوينها وافتتاحياتها وأعمدتها الثابتة، لأنها تشكل الخيط الناظم التحريري للصحف.
- ❖ العمل على تقطيع محتوى هذا المتن الصحفي إلى وحدات تسمى وحدات إخبارية unités d'information.
- ❖ الترميز والتصنيف في خانات موضوعاتية، مرتبطة بأسئلة البحث مبنية من طرف فريق بحث منصات (شبكة التحليل Grille d'analyse).
- ❖ القيام بالحساب والإحصاء.
- ❖ تقييم النتائج، وتحديد سمات وتوجهات تلك الوحدات الإخبارية المدروسة.
- ❖ القيام بتضمين النتائج القابلة للتكميم في جداول إحصائية وأشكال بيانية.
- ❖ القيام بتدخل تحليلي لربط تلك النتائج فيما بينها، لاستخلاص الاستنتاجات الدالة.

وبالرغم من أهمية النتائج والمعطيات الكمية التي أمدتنا بها هذه الوسيلة البحثية، فقد اعتبر الفريق أن البحث لا يستقيم، دون استكماله بالاتجاه نحو الفاعل الفرد المنتج للمحتوى، أي الصحفي. وذلك من منطلق ضرورة فهم الشروط التي أنتجت فيها تلك المواد الصحفية، و فهم المعنى الذي يعطيه ذلك الصحفي لتلك المواد كما لذاته ودوره في ظرفية وبائية استثنائية بكل المقاييس. وبناء عليه، عمل فريق البحث على بناء دليل لمقابلات موجهة مع الصحفيين، في تناسق وتكامل مع محاور شبكة تحليل المضمون المعتمدة.

واعتمادا على ذلك الدليل تم إنجاز 12 مقابلة مع صحفيين مهنيين، اشتغلوا خلال فترة الحجر الصحي الشامل في مؤسسة إعلامية تصدر جريدة ورقية. وقد خضعت محتويات تلك المقابلات المنجزة، لتحليل كيفي باعتماد شبكة تحليل تم بناؤها من طرف فريق البحث، لفهم المعنى والدلالة المتضمن في ثناياها. وفي الأخير، تم تضمين عصارة حصاد هذا المجهود البحثي في تقرير تركيبي، مكون من مقدمة عامة، وثلاثة فصول، وخلاصات وتوصيات.

الدراسة : حدودها الموضوعية ومحدودية زمنها

تشوب كل عمل بحثي ضرورة ولزوما، الكثير من الثغرات والنواقص. لا تشذ هذه الدراسة عن هذه القاعدة. لذلك، فمن الصرامة والنزاهة العلمية والأخلاقية، الإشارة إلى حدودها لاستيعاب مداها الكشفي. لقد ركزت هذه الدراسة على مواد صحفية أنتجت في فترة زمنية تمتد لثلاثة أشهر (-أبريل-ماي- يونيو)، وهي فترة زمنية تم اعتمادها بوعي من طرف فريق البحث لتزامنها مع فترة إعلان حالة الطوارئ الصحية وإجراءات الحجر الشامل وتقنين تنقل المواطنين. و بالتالي هي فترة استثنائية بامتياز. لكنها فترة زمنية يمكن أن ينظر إليها أنها قصيرة نسبيا، مقارنة بطول مدة إقامة فيروس كورونا المستجد بيننا.

ومن جهة أخرى، لا بد من الإشارة إلى محدودية المادة الصحفيةّ المدروسة. لقد تعاملت هذه الدراسة مع (6 ستة صحف فقط (حزبية وغير حزبية) تصدر باللغة العربية، مع وجود عدد كبير وأصناف أخرى من الصحف في السوق الإعلامية، من الصحف شبه رسمية قريبة من الدولة، من صحف تصدر باللغة الفرنسية، من صحف متخصصة في الاقتصاد والأعمال والمال. وهذا ليس إهمالا من فريق البحث، بل لمحدودية زمن إنجاز الدراسة، والإمكانات المتاحة لفريق البحث في فترة استثنائية بفعل الوضعية الوبائية.

وعلى غرار كافة البحوث الميدانية، يبقى هذا العمل محدودا ونسبيا، ولا يمكن تعميم نتائجه على كل المشهد الصحفي المغربي. حيث أن العينة المدروسة من الصحف لا تشكل سوى جزء من هذا المشهد. فهو لم يشمل الصحف الصادرة بالفرنسية كما الصحف شبه الرسمية. كما أننا لم نعتمد سوى على متغيري الحزبية وغير الحزبية. في حين أن هناك متغيرات أخرى يمكن إدماجها من قبيل التراكم التاريخي للصحيفة، النموذج الاقتصادي لمؤسسة الإصدار، نسبة المقروئية، عدد الصحفيين بها، مقدار الدعم الذي تحصل عليه، نسبة الاستفادة من السوق الإشهارية...الخ.

أما من جانب آخر، فحدود نتائجها تأتي أيضا، من كونها ركزت على قراءة وتحليل مضمون المواد الصحفية، وليس على دراسة وقعها على القارئ المتلقي أو تأثيرها الاجتماعي أو السياسي الذي يحتاج بدون شك لدراسة و تحليل لأهمية هذا البعد.

كما لا ينبغي تناسي، أننا بإزاء موضوع تتداخل فيه أبعاد ورهانات مختلفة وان الباحثين وموضوع البحث يتداخلان، كما في كافة العلوم الإنسانية، بحكم انتمائهما لنفس المجتمع، تداخل فرض على الفريق التحلي بكثير من الانضباط للصرامة العلمية والمنهجية، وهو الأمر الذي أبان عنه في القراءات وبناء الأدوات البحثية والتحليل. غير أن تسرب بعض الذاتية للعمل يبقى محتملا وقائما. لأن الأمر ليس باليسير خاصة وأن الدراسة تهم موضوعا يتكلم، واع، عقلاني، له حسابات ورهانات.

الفصل الثاني: مضمون الصحف واتجاهات الخطاب

يستعرض هذا الفصل في بدايته النتائج العامة للدراسة دون الأخذ بعين الاعتبار أي متغير. يهدف هذا الاستعراض تقديم الخطوط العريضة لتفاعل الصحف الورقية موضوع الدراسة مع الأزمة الوبائية في مختلف أبعادها، وهو التفاعل الذي لم ينزح كثيرا عن نموذج كلاسيكي في تواصل الأزمات مبني على "دق ناقوس الخطر" أولا، وتجاوز «الفوضى التواصلية" ثانيا، واحتواء "الأزمة الساخنة" ثالثا. وفي مرحلة ثانية، يدمج التحليل متغير طبيعة الجريدة، وهل هي حزبية؟ أم غير حزبية؟ بهدف الوقوف على التفاوتات المحتملة تبعا لهذا المتغير. وهكذا، تشمل المقارنة: العناوين المحيلة على الفيروس وحجمها المساحة المخصصة له في الصفحة الأولى، ومضمون الخطاب الموجه للمؤسسات، ومدى حضور أو غياب المقاربة الجندرية.

التغطية الإعلامية ونموذج المراحل الثلاثة

احتل الفيروس التاجي الصفحات الأولى للجرائد المدروسة بنسب تفوق الخمسين في المائة خلال مرحلة الحجر الشامل. وهيمن خطاب الذعر والطمأنة عليها بشكل متفاوت حسب تطور الحالة الوبائية حيث شكل خطاب الذعر السمة المميزة لشهر ماي بحكم ارتفاع عدد الحالات. أما المؤسسات الأكثر إثارة للاهتمام، فجاءت في المرتبة الأولى وبدون مفاجأة المؤسسات الصحية. وبمقابل حضور قطاع الصحة اللافت في العناوين، وفي الأعمدة الثابتة للصحف المدروسة إلا أن هذا القطاع تعرض أكثر من غيره لأكبر قدر من الانتقاد، متبوعا بالخدمات الاجتماعية فيما احتل التعليم والأمن ذيل قائمة المؤسسات المنتقدة، فيما غابت الإحالة خلال هذه المرحلة على المؤسسات الدينية.

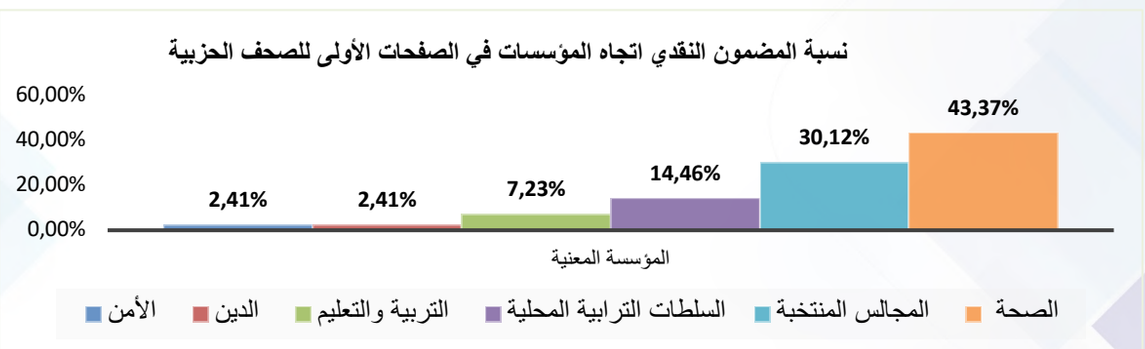

في المرحلة الأولى التي مثلها شهر أبريل، كانت الأزمة لا تعني الفاعل الإعلامي إلا من بعيد، ظلت شيئا يهم الآخرين لوحدهم لذلك ظلت المساحة المخصصة للفيروس التاجي خلال شهر أبريل في الصفحات الأولى للصحف المدروسة في حدود 28%. لكن، سرعان ما ستواجه الصحف معضلة الفوضى التواصلية، وانتشار

الأخبار المغلوطة والشائعات، لتشهد العناوين المحيلة على كوفيد ارتفاعا ملحوظا لتصل إلى حوالي النصف 49% خلال شهر ماي. أما وقد صار بالإمكان التعامل مع الأزمة التي دخلت على المستوى الإعلامي في طور الاحتواء فقد عادت النسبة للانخفاض النسبي خلال شهر يونيو لتسجل 22%.

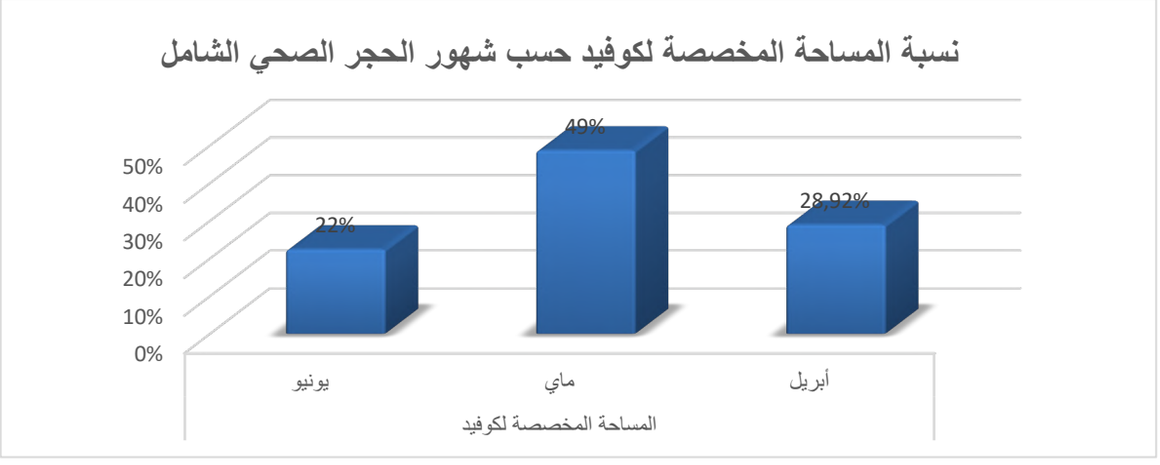

خضعت التغطية الإعلامية للأزمة الوبائية لنموذج تقليدي لإدارة الأزمة إعلاميا. لقد سعى مضمون الصحف المدروسة إلى "دق ناقوس الخطر" أولا وتجاوز "الفوضى التواصلية" ثانيا واحتواء "الأزمة الساخنة ثالثا. واختلف الصحفيون في التعاطي مع الأزمة الوبائية تبعا لما يتوفرون عليه من تجربة سابقة في تغطية ظهور الأوبئة السابقة. فقد اعتبروا أن التغطية الإعلامية لوباء كوفيد في البدايات لم تكن ترقى إلى مستوى تخصيص الصفحات الأولى للجرائد والأخبار له، نظرا لكونه خارج نطاق البلد في حين أقرت فئة أخرى أن التعامل مع الفيروس إعلاميا كان منذ البدايات جادا باعتباره حدثا إنسانيا كبيرا ويرجعون ذلك لتجربة الصحيفة من قبل في تغطية الفيروسات والأوبئة كإنفلونزا الخنازير وإنفلونزا الطيور.

عاش الصحفيون هذه التجربة باعتبارها حدثا استثنائيا في تاريخهم المهني، حيث اضطروا منذ بداية الأزمة إلى التخلي عن كافة التخصصات والتركيز على موضوع واحد هو الفيروس التاجي من خلال التتبع اليومي للجائحة ومختلف جوانبها الطبية والصحية، الرياضية والاقتصادية. وهكذا، فرضت كورونا زمنا صحفيا خاصا. هذا الزمن الصحفي المطبوع بموضوع مركزي واحد هو التغطية الإعلامية للفيروس التاجي والأزمة التي أحدثها، تعززه المعطيات الكمية التي همت تحليل مضمون الصفحات الأولى والأعمدة الثابتة لعينة الدراسة. وهكذا، تنطبق هذه الخطاطة الثلاثية أيضا على نسبة العناوين المحيلة على الفيروس حيث شهدت الصفحات الأولى للعينة المدروسة هيمنة هذه العناوين خلال شهر ماي بنسبة تجاوزت النصف 50,76% ، بينما كانت في أبريل أكبر بقليل من25%.

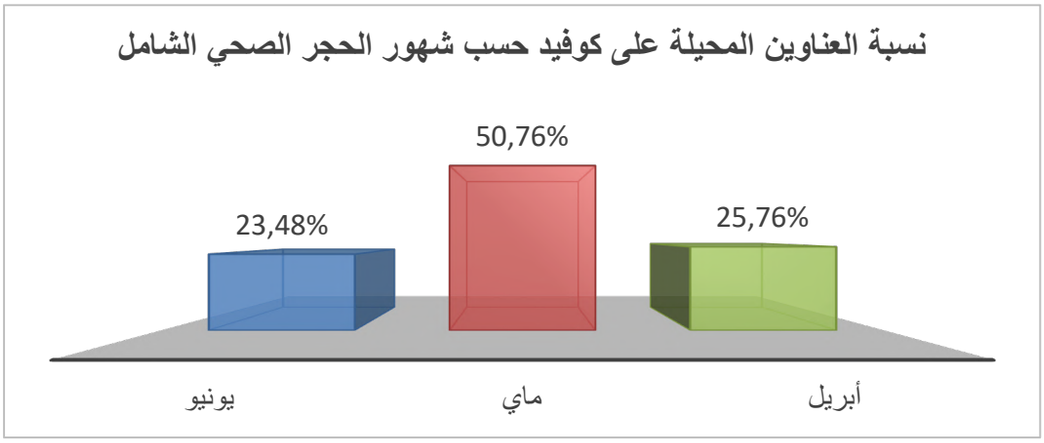

وتماشيا مع هذه الخطاطة الثلاثية يمكن أن نفهم التوجهات العامة لمضمون الصفحات الأولى خلال مرحلة الحجر الصحي الشامل، حيث سجلنا توجهان اثنان: الأول مرتبط بمضامين تبث التخويف والذعر، والثاني يهم ارتفاع منسوب النقد اتجاه مؤسسات بعينها واتجاه سلوكيات الأفراد. في مرحلة الفوضى التواصلية المترافقة مع شهر ماي شكلت نسبة العناوين التي يمكن وصفها بعناوين تبث الذعر 53,64% مقابل نسبة عناوين مطمئنة تصل إلى 46,36%. وبخصوص طبيعة مضمون الخطاب الإعلامي اتجاه المؤسسات، سجلت الصفحات الأولى للجرائد المدروسة اتجاها نحو السلبية بنسبة تصل إلى حوالي 40% مقابل نسب متقاربة بين الاتجاه الإيجابي والمحايد.

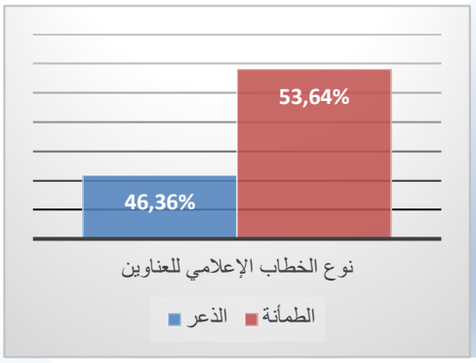

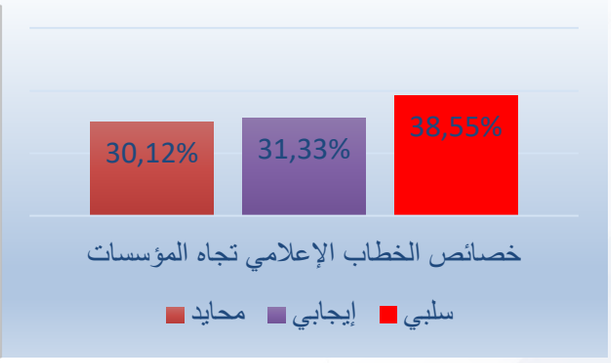

تثبت هذه النتائج، أن التغطية الإعلامية للصحف المغربية لم تخرج عن النماذج التقليدية التي أثبتتها عددا من الدراسات السابقة[17] حيث خضعت التغطية الإعلامية

[17] - Peter LM Vasterman, Nel Ruigrok. Pandemic alarm in the Dutch media: Media coverage of the 2009 influenza A (H1N1) pandemic and the role of the expert sources (2013). https://doi.org/10.1177/0267323113486235. Consulté le 12-11-2020.

لثلاث مراحل في تغطية الأزمات التي يحدثها ظهور أي فيروس جديد. لقد سعى مضمون الصحف المدروسة إلى "دق ناقوس الخطر "وتجاوز "الفوضى التواصلية" واحتواء "الأزمة الساخنة". هذا النموذج يتوقع دائما في بداية الأزمة صدق هيمنة الادعاءات المخيفة على الأخبار مع التركيز على الطفرة المحتملة للفيروس وانتشار العدوى. بعدها مباشرة، تتميز المرحلة الثانية من الاستعداد للأزمة القادمة بمزيج من الرسائل المخيفة والمطمئنة. وأثناء المرحلة الثالثة، عندما يصير الوباء واقعا فعليا، يبرز خطاب "الأزمة والاحتواء" من خلال التأكيد على خطورة الوضع ورهانات السيطرة عليه[18].

[18] - Peter LM Vasterman, Nel Ruigrok. Pandemic alarm in the Dutch media: Media coverage of the 2009 influenza A (H1N1) pandemic and the role of the expert sources (2013). https://doi.org/10.1177/0267323113486235. Consulté le 12-11-2020.

متغير الحزبي وغير الحزبي في التغطية الإعلامية للأزمة

العناوين المحيلة على الفيروس: انخراط متفاوت في التحذير من الخطر

ركز فريق البحث على العناوين وعددها، لدلالة ذلك على مدى الأهمية التي توليها الجريدة المعنية للأزمة الوبائية في لحظة زمنية معينة.

و هكذا نلاحظ:

- بالنسبة للجرائد الحزبية، انخفضت بشكل ملموس نسبة هذه العناوين إبان فترة الحجر الصحي الشامل بين أبريل ويونيو من% 45.31 إلى% 21.05. كما انخفضت العناوين المحيلة على كوفيد بالنسبة للافتتاحيات والأعمدة الثابتة في نفس الفترة بنفس النسبة تقريبا.
- أما بالنسبة للجرائد غير الحزبية، فقد كانت العناوين المحيلة على كوفيد منخفضة في شهر أبريل 25.76%، مقارنة بنسبة الصحف الحزبية، لترتفع و تتجاوز هذه الأخيرة في شهر ماي (أكثر من 50%)، قبل أن تعود لتستقر نسبها في مستوى متقارب مع الصحف الحزبية في شهر يونيو (23.48%). ونفس المنحى ينطبق على افتتاحياتها وأعمدتها الثابتة.

نلاحظ من خلال مقارنة هذه النتائج أن الصحف الحزبية حاولت في البداية ممارسة دورها في التنبيه للخطر القادم من خارج الحدود، ثم تدرجت في تخفيف اهتمام الناس بالوباء بعد أن أصبح واقعا معيشا، وصارت آثاره واضحة في حياتهم، خصوصا مع تجربة الحجر الصحي الشامل، أما الصحف الورقية غير الحزبية فقد حاولت مواكبة تجربة الحجر الصحي بقراءة الواقع الصحي والأمني الاجتماعي والاقتصادي المستجد. لكن توزيع مضامين المواد الإعلامية المنشورة بين عناوين عريضة ورئيسية وثانوية تحيل اكثر على أهمية الحدث الإعلامي الذي يتم التركيز عليه بالنسبة لكل صنف من الصحف. وهذا ما يمكن توضيحه أكثر بعد الانتقال لقراءة المبيان الوارد تحت العنوان اللاحق.

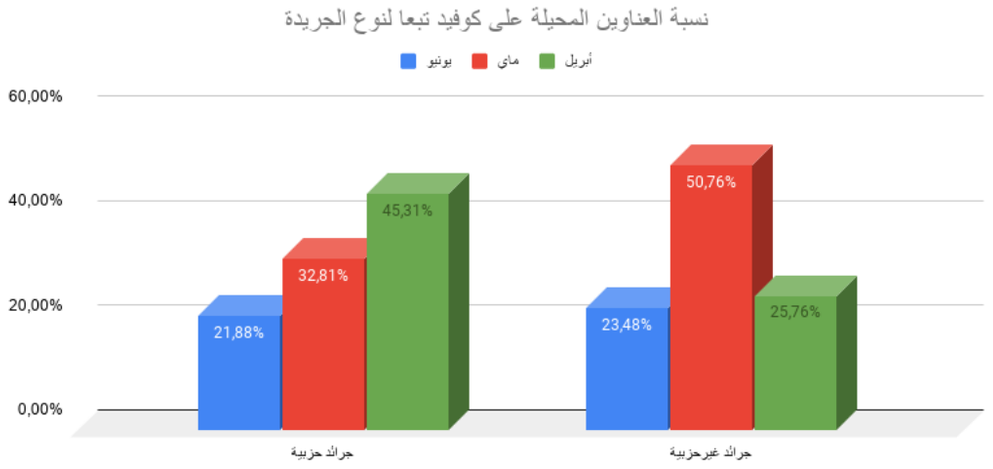

حجم العناوين وضبط إيقاع الأزمة

على مستوى شكل العناوين المحيلة على كوفيد (حجمها)، كمؤشر على الأهمية المعطاة للموضوع، فإننا نلاحظ ما يلي:

- بالنسبة للجرائد الحزبية، كان يتأرجح شكل العناوين في الغالب الأعم بين عنوان رئيسي و ثانوي، و لم تتجاوز العناوين العريضة (الضخمة) المخصصة لكوفيد نسبة % 23 من مجموع العناوين . ونفس الأمر ينطبق على عناوين الافتتاحيات والأعمدة الثابتة.
- أما بالنسبة للجرائد الغير الحزبية: فقد كانت نسبة العناوين ذات الشكل العريض المخصصة لكوفيد 19 هي 23.53%، أي أعلى بالضعف مقارنة بالجرائد الحزبية. في حين تقاسمت النسبة المتبقية العناوين الرئيسية والثانوية (حوالي 38%).

إذا كان اهتمام الصحف الحزبية بأزمة كوفيد 19 أقل منه لدى نظيرتها غير الحزبية، فإن ذلك يؤشر على التزام مستوى من التحفظ عموما، وخصوصا مع بداية الأزمة وضبابية مساراتها ومخاطرها، وبالتالي فقد تحول هذا الاحتراس من مغامرات تحليلية او نقدية تجاه المؤسسات إلى ضبط إيقاع بطيء في تتبع الموضوع، تفاديا لكل ما يمكن أن يضر مستقبلا بمصلحة التنظيمات الحزبية التي تنطق باسمها.

لكن في مجمل الأحوال، بقيت أزمة الوباء عنوانا رئيسيا في الغالب الأعم، لدى مجمل الصحف الحزبية وغير الحزبية طوال الأشهر الثلاثة، وذلك سعيا من مختلف المنابر الإعلامية موضوع هذه الدراسة، والتي تحولت فجأة من ورقية إلى إلكترونية، لضمان متابعة نشيطة لمستجدات الوضع، والاضطلاع بالتالي بالدور المنتظر منها من قبل قرائها، تحسيسا وإخبارا ومتابعة بالتغطية والنقد، فتفاوتت المساحات المخصصة لموضوع المرحلة تبعا لمتغيرات ظرفية أملتها شروط التغطية الإعلامية المهنية، والتي ظلت في مجملها يقظة بدرجة معقولة من الحذر من المعلومات والمعطيات الخاطئة.

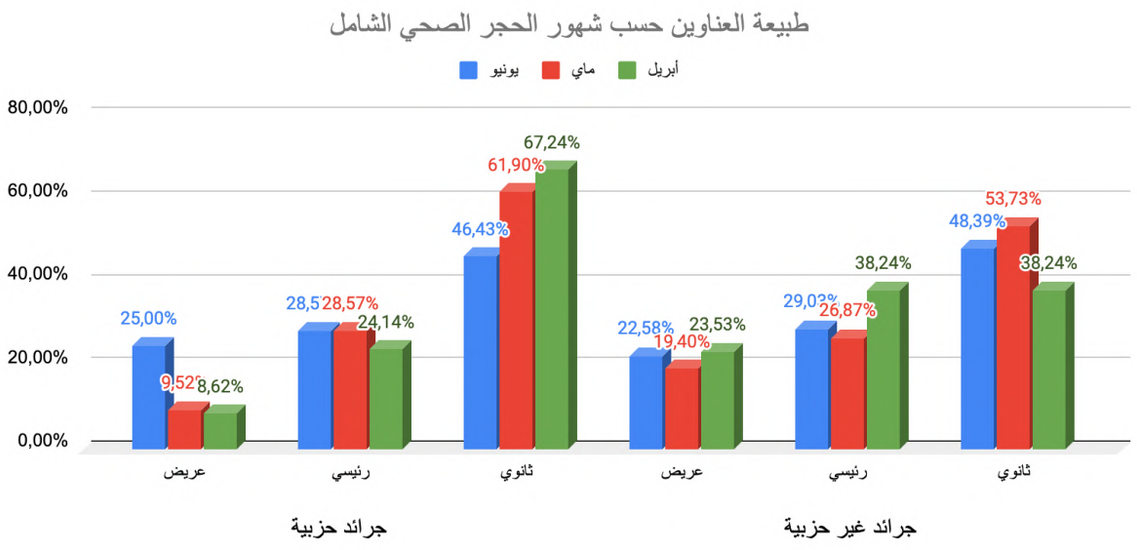

"مساحة" الفيروس في الصفحة الأولى وصدمة هشاشة البنيات الصحية

نعتبر المساحة المخصصة للموضوع على صدر الصفحة الأولى، مؤشرا دالا على مدى الأهمية الممنوحة له. وهكذا نلحظ ما يلي:

- بالنسبة للجرائد الحزبية، فقد خصصت أكبر المساحات للحديث عن الكوفيد إبان شهر أبريل (41.69%)، قبل أن تبدأ بالانخفاض في الشهرين المواليين لتصل إلى 23.75% في شهر يونيو.
ونفس المنحى التنازلي، أخذته المساحات المخصصة للافتتاحيات و الأعمدة الثابتة التي تتحدث عن أزمة الكوفيد من 44.62% إلى 21.54%.
- أما بالنسبة للجرائد غير الحزبية، فقد كانت المساحات المخصصة للأزمة الوبائية منخفضة في الشهر الأول مقارنة بالصحف الحزبية (28.92%)، قبل أن ترتفع أكثر منها و تتجاوزها في الشهر الثاني، لتعود و تتقارب نسبهما في الشهر الثالث (حوالي 23%).
- المرجو التأكد من تطابق النسب مع ما يوجد في المبيانات أعلاه

نفس المنحى المتذبذب عرفته المساحات المخصصة للافتتاحيات والأعمدة الثابتة للجرائد غير الحزبية. فالتعامل مع الأزمة من قبل المؤسسات الإعلامية والصحافة المهنية بالمغرب الحزبية وغير الحزبية ظل يحكمه اختلاف الرؤى والأجندات التي تبنى انطلاقا من شكل ومستوى التزاماتها المجتمعية والقانونية، والسياسية أيضا. فمع تزايد الحاجة للمعلومة والمقارنة بين الوضعيات التي يخلقها الوباء خلال بداية انتشاره على مستوى الوطن ككل، كانت المواكبة

الإعلامية الحزبية أكثر نشاطا في البدء ثم انخفض تدريجيا بعد انكشاف صدمة هشاشة المنظومة الصحية وبنيات البحث العلمي المغربية، وهي وضعية تسائل الفاعل السياسي الذي لم يجعل منها أولوية يفاوض بها الوضع المستجد. وهو نقص يصعب تدارك آثاره بعد حالة إغلاق الحدود بين الدول بخصوص المعدات الصحية اللازمة لتخفيف الخسائر. ولم يكن الوضع يسمح بمزايدات سياسية بين التنظيمات الحزبية التي تشاركت بمعنى ما تراكمات المخططات السياسية السابقة.

أما بخصوص الصحف الورقية غير الحزبية فبدأت تغطيتها بمتابعة ناقصة مقارنة بنظيرتها الحزبية، عبر نقل المستجدات والمعلومات للقارئ المفترض، لكنها انتقلت خلال الشهر الثاني لتكثيف اهتمامها بالوضعية المضطربة التي برزت مع الانتشار السريع للوباء، وتداعيات فرض الحجر الصحي الشامل على مستوى كل الوطن، بانتظار وأمل تجاوز تلك الوضعية المتوترة من خلال التزام المواطنين بشروط الحجر الصحي الشامل الذي فرضته السلطات المعنية وخصوصا الصحية والأمنية. لكن هذا الارتفاع في مؤشر الاهتمام بالوباء سيتوقف وستعقبه وتيرة تراجع يمكن تبريرها بانطلاق دينامية سياسية جديدة، آخذة في التشكل، جعلت شعارها الأساسي هو أولوية تقوية ودعم القطاعات الصحية والخدماتية والاجتماعية، والاهتمام بالتفكير والتخطيط لمعالجة الوضعيات المجتمعية الهشة على مستوى كل القطاعات المتضررة بأزمة كوفيد19. وبالتالي فالتغطية الإعلامية قد تتقدم أو تتراجع تبعا للمجالات والقطاعات التي تسعى المؤسسات الإعلامية للتركيز عليها دون غيرها.

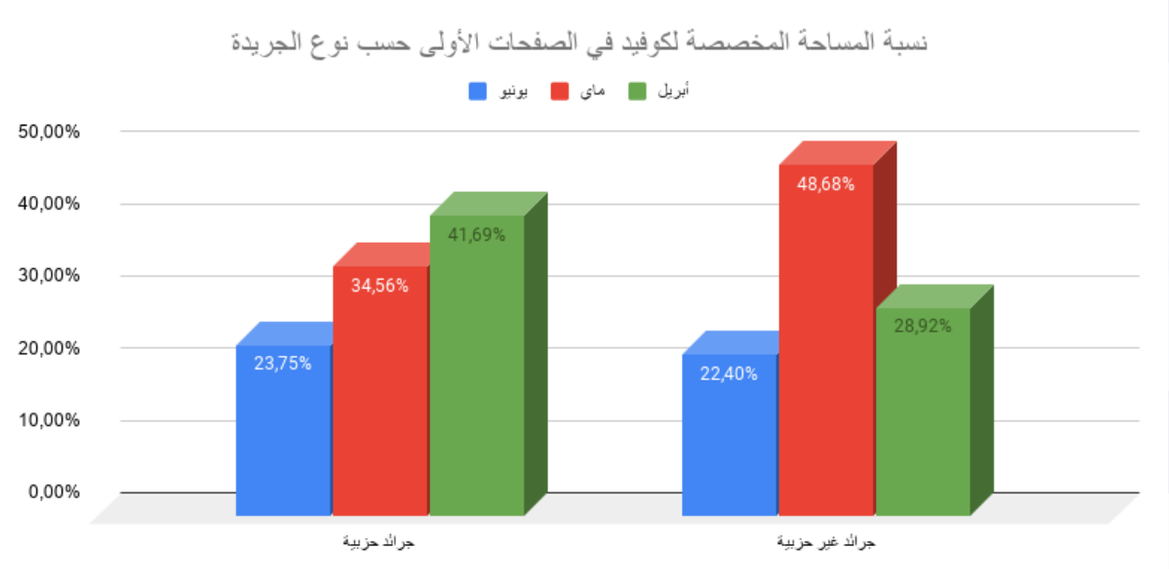

مجالات تركيز المواد الصحفية: تبادل الترتيب بين الاجتماعي والسياسي

ما هي المجالات التي ركزت عليها الصحف في الفترة التي تغطيها الدراسة في ارتباط بالجائحة وانعكاساتها؟

- بالنسبة للجرائد الحزبية، كان التركيز في المواد الإعلامية كما الافتتاحيات والأعمدة الثابتة، ينصب على المجال الطبي والصحي بشكل واضح وجلي، يليه المجال السياسي، ثم المجال الاجتماعي. أما المجال الاقتصادي فقد زادت نسبة الاهتمام به مع شهر يونيو إلى حوالي 28.57 %. في حين كان الاهتمام ضئيلا جدا بما يمس المجال الديني.
- أما بالنسبة للجرائد غير الحزبية، فمنحى التركيز في المواد الإعلامية كما الافتتاحيات والأعمدة الثابتة، كان أيضا على المجال الطبي و الصحي بالدرجة الأولى، يليه المجال الاجتماعي، ثم المجال السياسي. بينما بقيت نسبة الاهتمام بالمجال الاقتصادي تقريبا مستقرة بين 9% و11% في تلك الفترة. في حين تضاءل الاهتمام بما يمس المجال الديني.

قد يكون حماية قوة الجماعة والمجتمع خلال مرحلة الأزمة المستجدة أهم عنوان اختارته الصحافة لعملها خلال فترة الحجر الصحي الشامل، وذلك من خلال الانخراط في خدمة توافقات ضمنية بين مواقع السلطة والمجتمع، عبر التوعية وتوخي الحيطة في نشر المعلومة، بما يساهم في تحصين المصالح الكبرى والمتداخلة للأفراد والمؤسسات. فسعت الصحف الورقية بصنفيها لتحاشي إثارة الموضوع الديني الذي كان قرار منع أداء الطقوس العبادة الجماعية في المساجد مثار جدل من قبل البعض على قلته، في مقابل تثمين تقوية المؤسسات الصحية والطبية والرفع من منسوب حكامة اشتغالها ومواكبة دينامية تطوير قدراتها وطاقة استيعابها للأعداد المتزايدة من الإصابات بالوباء. أما التباين المسجل بين الصحف الحزبية وغير الحزبية فلا يتجاوز تبادل ترتيب بين الحقلين الاجتماعي والسياسي، إذ ركزت الجرائد الحزبية على المجال السياسي أكثر من المجال الاجتماعي، بحكم قربها من الدوائر السياسية وسهولة الوصول للمعلومة المتداولة في مجالس ودوائر سياسية مغلقة أو شبه مغلقة، عكس الصحف غير الحزبية التي كان يسهل عليها مساءلة الوضع الاجتماعي في الميدان مقارنة بدوائر إنتاج القرارات السياسية.

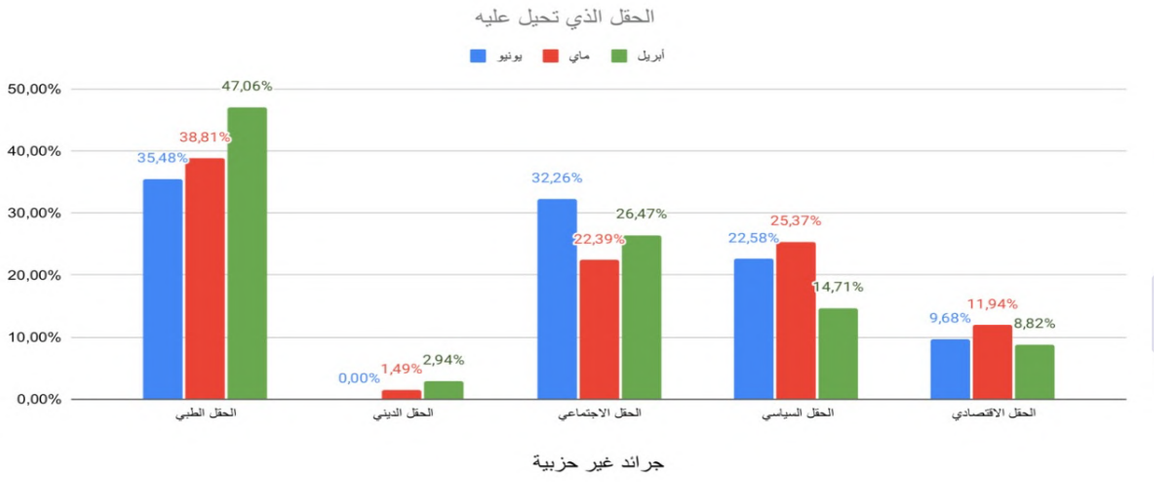

جرائد غير حزبية

-

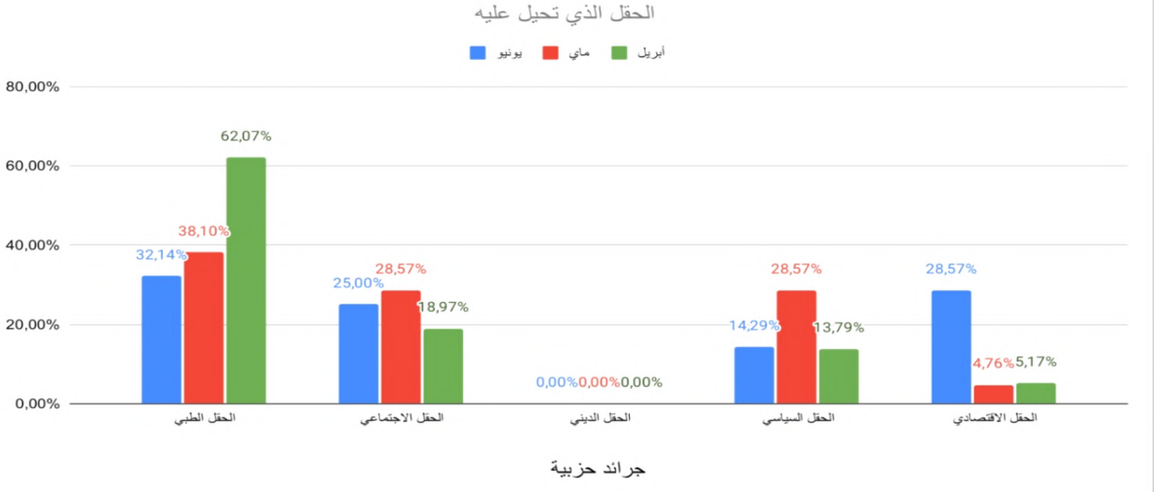

جرائد حزبية

مؤسسات في عين العاصفة: "حضور طاغ للصحة" و"غياب واضح للدين"

بالنسبة للجرائد الحزبية، كانت المؤسسة الصحية و الطبية محط اهتمام واضح بنسبة فاقت 50%، تليها المجالس المنتخبة (محلية، إقليمية، جهوية، وطنية)، و من ثم تليها السلطات المحلية الترابية (بمراتبها المختلفة). في حين كان الاهتمام أقل بمؤسسات الأمن، التربية والتعليم. وقد قارب الاهتمام نسبة الصفر بالمؤسسات الدينية. وهذا المنحى، نلحظه أيضا في الافتتاحيات والأعمدة الثابتة.

بالنسبة للجرائد الغير الحزبية، كان الاهتمام الأكبر في موادها الإعلامية بمؤسسة الصحة والسلطاتالمحلية. يليه اهتمام أقل بمؤسسات التربية والتعليم و الأمن. كما نلحظ اهتماما أكبر في نسبته، وإن كانت ضعيفة، بالمؤسسات الدينية مقارنة بالجرائد الحزبية. أما تسليط الضوء الإعلامي على المجالس المنتخبة، فقد كان غالبا ما يأتي في ثنايا الافتتاحيات والأعمدة الثابتة.

وبهذا يبدو أن المؤسسات التي واكبت التصدي للوباء وآثاره المباشرة، والتي أنيطت بها مهام التخفيف من الخسائر الديموغرافية والأمنية والاقتصادية، قد كانت الأكثر حضورا كمواضيع للنقد في العناوين البارزة للصحف الورقية بصنفيها، مع تسجيل تباينات بسيطة في ترتيبها الذي توضحه معطيات المبيان التالي:

ضرورة إضافة المبيان هنا

إذ تغيب المؤسسات الدينية ودور العبادة التي ظلت معطلة طيلة فترة الثلاثة أشهر المختارة من فترة الحجر الصحي، مقابل بروز المؤسسات الصحية بموقعها الاستراتيجي الواضح في خدمة المصابين بالوباء والتوعية بشروط الوقاية والعلاج لدى الخطين التحريريين الحزبي وغيره، ثم تحل المجالس المنتخبة في الصف الثاني بالنسبة للصحف الحزبية التي تحاول إبراز نشاط وأدوار الفاعل السياسي المحلي والجهوي والوطني، وهو الذي تعوضه السلطات المحلية من باشا وقائد وعون سلطة وغيره، بالترتيب الثاني لدى الصحافة غير الحزبية.

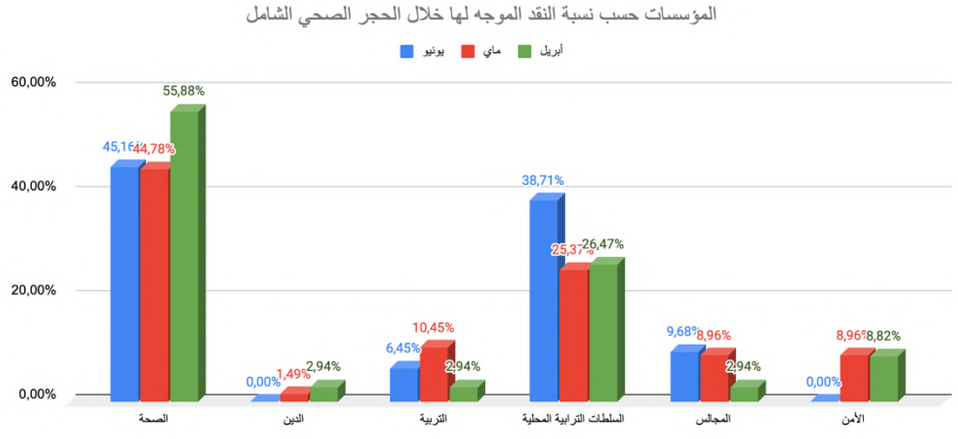

جرائد غير حزبية

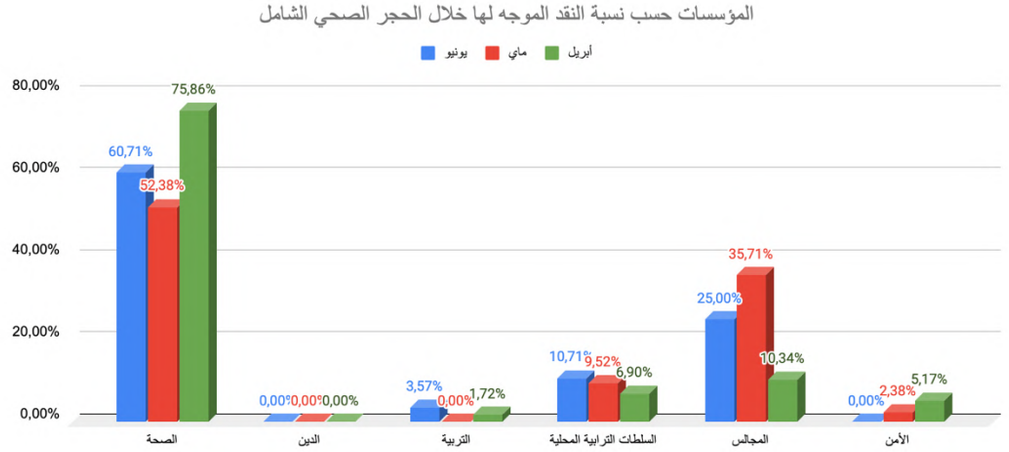

جرائد حزبية

جندرة ضعيفة: نقص الثقافة الفارقية أم وحدة الخطر الصحي؟

- في الصحف الحزبية، نلاحظ أن توجه المواد الإعلامية المتعلقة بكوفيد19 نحو نوع اجتماعي محدد لم يكن واضحا إلا في 4% من المواد بالنسبة للذكور، و 2.38% بالنسبة للإناث. في حين بقيت حوالي 90% من المواد غير محددة التوجه، بحيث يفترض أنها تتوجه للإثنين.
وهو الأمر الذي ينطبق أيضا على المقالات الافتتاحية و الأعمدة الثابتة بشكل كامل، بحيث لم نرصد في ثناياها توجها واضحا إلى هذا النوع أو ذاك، بمعنى أنها قد تكون متوجهة لكليهما.
- في الصحف غير الحزبية: نرصد تفاوتا نسبيا مقارنة بالصحف الحزبية. فتوجه المواد الإعلامية للذكور بشكل واضح تراوحت نسبها بين 3% و 13.49%، في حين لم تتجاوز النسبة 6.45% بالنسبة للنساء. أي ان حوالي 90%من تلك المواد، يفترض أنها كانت موجهة للإثنين.
أما المقالات الافتتاحية والأعمدة الثابتة، فقد توجه 16% منها للذكور و 4% للنساء بشكل واضح. في حين أن حوالي 80% منها لم تحمل توجها واضحا لهذا النوع الاجتماعي أو ذاك، أو يفترض أنها تتوجه للاثنين.

إذا لم يكن الأمر يتعلق بنقص في بناء ثقافة فارقية لدى الصحفيين المهنيين، يستندون عليها لإنتاج المادة الإعلامية قبل جعلها في متناول قارئ متنوع الخصوصيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، فإن ضعف حضور مقاربة النوع الاجتماعي التي تراعي الخصوصيات الثقافية الجندرية بالمجتمع المغربي في المادة الإعلامية المنشورة على صفحات الجرائد الورقية، خلال أزمة كوفيد، كانت ضعيفة عموما ومتباينة لصالح الصحف غير الحزبية، وضمنها لصالح الذكور بأربعة اضعاف في مقابل الإناث.

وإذا كانت المقارنة بأرقام ونسب ضعيفة تظل غير ذات دلالة قوية، فإنه بالمقابل يمكن لنا عزو جزء مهم من ضعف التعاطي مع الموضوع، بمقاربة تستحضر ازدواجية الهوية الجندرية للقارئ، لشمولية الأزمة ووحدة الخطر الصحي الذي يحمله انتشار الوباء بالنسبة للجميع. لكن ذلك لا يغني عن طرح إشكال حضور هذه المقاربة أصلا خلال التغطية العادية للأحداث خارج الظرفية التي طرحتها الجائحة منذ بداية سنة 2020م، فقد يتطلب الأمر بحثا مستقلا في الموضوع بفرضيات متعددة.

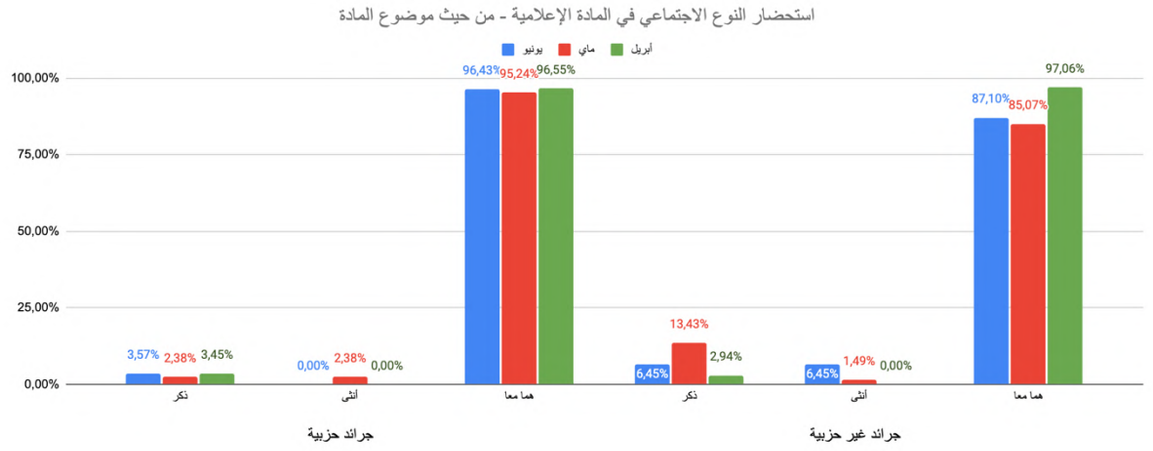

المضمون الموجه للجمهور بين الذعر والطمأنة

لقد وضعنا حدين للحكم على اتجاه الرسالة الإعلامية للعناوين. فإما أنها رسالة تنحو نحو بث الذعر والقلق، أو رسالة تنحو نحو بث الطمأنينة والسكينة في مواجهة الأزمة الوبائية. وعليه لاحظنا ما يلي:

- بالنسبة للجرائد الحزبية، كان توجه عناوين موادها الإعلامية المخصصة للكوفيد، يغلب عليه طابع الطمأنة طوال الأشهر الثلاث بنسب تجاوزت 60%. لكن مع الإشارة، إلى أن طابع الذعر والقلق كان حاضرا في الشهر الأول بشكل واضح في موادها الإعلامية بنسبة قاربت 40%، قبل أن تبدأ جرعة هذا القلق تنخفض في الشهرين المواليين إلى حدود 28.5%. ونفس المنحى تقريبا عرفته عناوين افتتاحياتها و أعمدتها الثابتة.

- أما بالنسبة للجرائد غير الحزبية، فالملاحظ أن رسائلها الإعلامية من خلال عناوين المواد الإعلامية كما الافتتاحيات والأعمدة الثابتة، كان يغلب عليها طابع الذعر والقلق والخوف والهلع، طوال الأشهر الثلاثة، بنسب تجاوزت 60% لتصل أحيانا إلى 80%.

بهذا الخصوص، نلاحظ أنه ثمة فروقات واضحة بين الصحف الحزبية والصحف غير الحزبية. فالمرحلة التي تغطيها هذه الدراسة تفترض انتشار خوف من فاعل لا بشري مجهول اقتحم حياة المواطنين، ففرض نظام حياة جديد، اختلطت فيه الفضاءات والأزمنة، وتغيرت فيه أساليب الإنتاج والتوزيع والتبادل الاقتصادي، وتم خلاله تعليق نظام الحياة الاجتماعية الاعتيادي حتى إشعار آخر. وبالتالي فهو وضع مشوب بالقلق، ويعبر مفهوم المخاطرة عن التمثل السائد والمستمر لدى أغلب الأفراد الذين يتحركون بالفضاء العام، وتطفو كاحتياط وحذر في مختلف علاقات المواطن بغيره وبالأشياء.

ولهذا كانت تتم مواكبة هذا الخوف عبر تغطية إعلامية تكتفي بوصف الواقع ونقل ظواهره للمتلقي من قبل الصحف غير الحزبية، بينما تحاول الصحف الحزبية التخفيف من حالة الرعب المنتشر، سعيا لتخفيف الضغط على الفاعل السياسي الذي صار مطالبا بالإجابة عن أسئلة المواطنين بخصوص الحال والمآل، وفي ذلك مساءلة ضمنية لواقع وتاريخ التدبير غير المقنع لجمهور واسع من المواطنين، بخصوص قطاعات الصحة والبحث العلمي، في تجربة ممارسة السلطة السياسية من قبل الحكومة الرسمية في الزمن الحاضر كما سابقاتها في الماضي القريب.

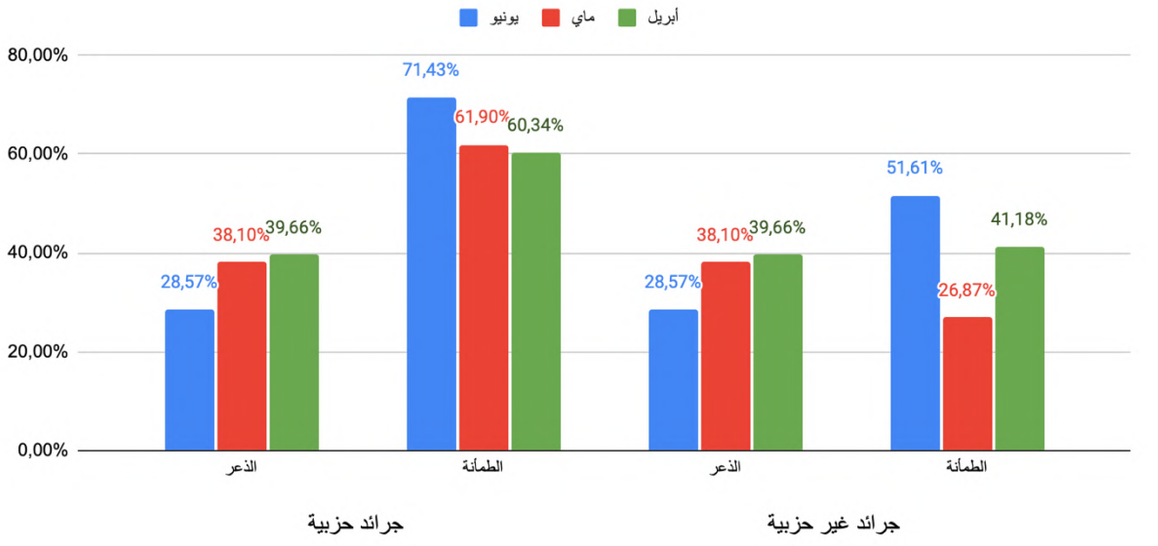

مضمون الخطاب اتجاه المؤسسات: التبرير من الحزبي والنقد من غير الحزبي

بالنسبة للجرائد الحزبية، نلحظ أن خطابها الإعلامي اتجاه المؤسسات في فترة الدراسة، غلب عليه الطابع الإخباري الإعلامي في% 60 و 75% من المواد المخصصة لها. في حين انخفضت جرعات النقد واللوم الموجه لها في نفس الفترة.

وفي المقابل خصصت هذه الصحف، مواد إعلامية موجهة لهذه المؤسسات، تحمل طابعا توجيهيا أو تحسيسيا لها بما أهملته من قضايا و مشاكل، و هذا كان ملحوظا في الشهرين الأولين قبل أن تنخفض نسبته في الشهر الثالث.

أما بالنسبة لتلك المواد الإعلامية، التي يمكن اعتبارها تذهب في اتجاه تبرير وإيجاد ذرائع للمؤسسات المعنية بتدبير الجائحة، فقد كانت نسبتها منخفضة بحيث لم تتجاوز 10%.

أما الافتتاحيات والأعمدة الثابتة، فقد ذهبت تقريبا في نفس المنحى، مع ملاحظة أن جرعات النقد، أو التوجيه، أو حتى التبرير، كانت زائدة فيها مقارنة بالمواد الخبرية الأخرى.

- بالنسبة للجرائد غير الحزبية: فقد كانت مضامين خطابها الإعلامي اتجاه المؤسسات ونسبه، تتقارب و تذهب في نفس منحى الجرائد الحزبية؛ لكن مع الإشارة إلى أن جرعات النقد و اللوم الموجهة للمؤسسات، تتجاوز نسبتها بكثير تلك المعبر عنها في الجرائد الحزبية. وكان التعبير عن ذلك، غالبا ما يتم في الافتتاحيات.

فالعمل الصحفي في الجرائد الحزبية، عموما، يحمل حساسية مهنية خاصة ونفسا سياسيا، فهو يواكب تكتيكا متدرجا ومرتبا هدفه ضمان تموقع استراتيجي للفاعل السياسي الذي تنطق الصحيفة الحزبية باسمه، لكن من حيث أن النقد من أهم الأدوار المتوقعة في كل مادة إعلامية منتجة، فالصحافة الحزبية بدورها تسعى لحماية حد معقول من مصداقيتها لدى قرائها. وبالتالي فهي تبرز خطابا نقديا إلى جانب غلبة خطابها الإخباري والتحسيسي الذي يفترض فيه الحياد.

أما الجرائد غير الحزبية فهي تحاول أن تحفظ مصداقيتها أكثر بالتقرب من القارئ عبر التعبير أكثر عن واقعه وهواجسه، التي تحمل نقدا لمختلف الفاعلين الصحي والسياسي والتقني والإداري عند كل لحظة تعثر الإجابة عن تساؤلاته أو تلبية مرضية لحاجاته، لكن يبدو أنها بدورها حاولت الحفاظ على الخطاب الإخباري البارد والمحايد بشكل كبير.

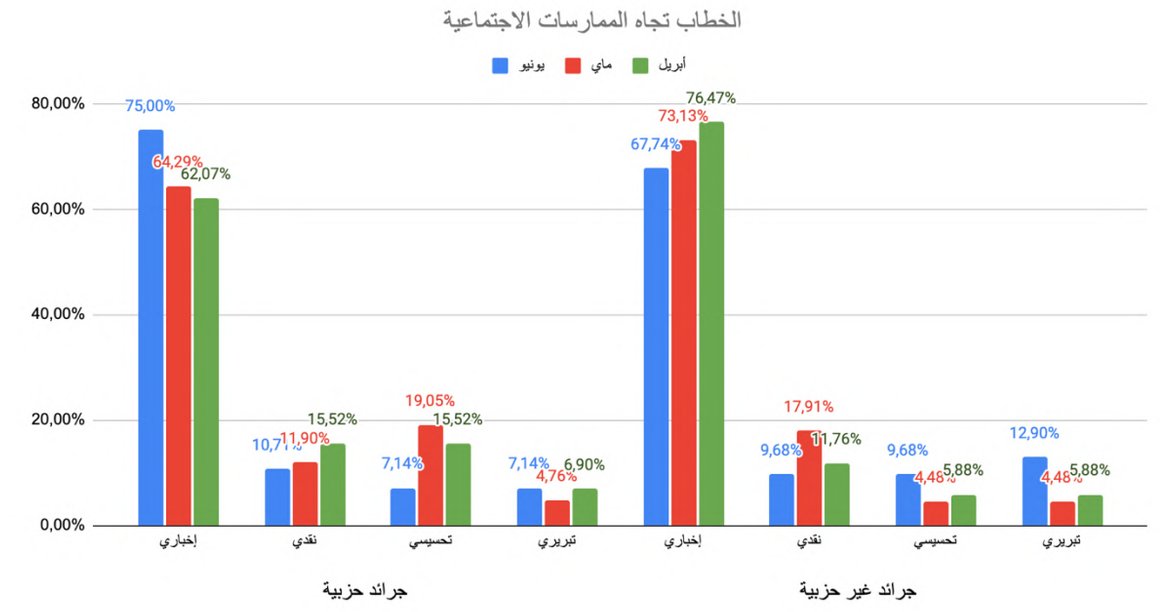

الخطاب الموجه للمؤسسات: بين السلبية والإيجابية

هو تقييم عام لأداء المؤسسات، بدون التركيز على مؤسسة بعينها. هذا التقييم يقوم على ثلاث درجات: إيجابي- سلبي- محايد.

- بالنسبة للجرائد الحزبية، كانت المواد الإعلامية المنشورة، بما فيها الافتتاحيات والأعمدة الثابتة، تقيم في حوالي 50%منها الأداء المؤسساتي بالإيجابي، في حين لم يتجاوز التقييم السلبي نسبة36%. أما النسبة المتبقية فقد كانت لمواد ذات مواقف حيادية، كمواقف يصعب تصنيفها هل هي إيجابية أم سلبية.
- أما بالنسبة للجرائد غير الحزبية، فقد تغلب في خطابها التقييم السلبي لأداء المؤسسات، في تلك الأشهر الثلاث، في أكثر من 50% من موادها وافتتاحياتها وأعمدتها الثابتة. أما باقي النسب فظلت تتأرجح بين التقييم الحيادي والتقييم الإيجابي. ونرصد هنا أيضا، فرقا واضحا بهذا الخصوص بين الصحف الحزبية وغير الحزبية.

إن فعالية المؤسسات هي الضامن للعمل المهيكل والقانوني والانتظام في رهانات مجتمعية كبرى، وهذا ما يطرح ضرورة حماية الاشتغال المسترسل لمختلف المؤسسات بمختلف أنواعها ومواقعها ضمن أجهزة الدولة الوطنية، لكن ذلك لا يعني نوعا من الصمت تجاه النقص في أدائها ووظائفها. وإذا كانت جائحة كوفيد 19 قد كشفت اختلالات مهمة في قدرات بعض منها، فإن فحص حكامة التدبير ضمن مكوناتها قد تطلب خطابا نقديا تجاه المؤسسات التي يفترض أن تمارس دور الدرع الواقي من مخاطر الوباء. وإذا كان التقييم قد ظل يتأرجح خلال فترة الأشهر الثلاث بين الإيجابي والسلبي والمحايد، فإن المؤسسات الصحية قد نالت النصيب الأوفر من الرقابة الصحفية من الخارج، انخفض تدريجيا من شهر أبريل لشهر يونيو في العناوين والمقالات المنشورة على الصفحات الأولى لكلا صنفي الجرائد الحزبية وغير الحزبية.

لكن، ضمن هذه الصورة العامة، ظلت الصحافة الحزبية الأقل انتقادا لأداء المؤسسات خلال الفترة الاستثنائية التي فرضتها الجائحة، من موقع ترك المجال أمام الفاعلين المباشرين لفتح آفاق جديدة قصد تخفيف ضغط الأزمة على الجميع، فاكتفت في نصف موادها الإعلامية ذات العلاقة بالجائحة بتثمين الإداء وتقييمه إيجابيا، عكس الصحف غير الحزبية التي حاولت تقديم وصف اشتغال هياكل المؤسسات عامة بشكل محايد في العديد من العناوين المنشورة على صفحاتها، لكنها تموقعت كسلطة ناقدة بتقييم سلبي بنسبة النصف من مجموعها، وذلك من موقع التنبيه للنقائص التي تتخلل قدرات تلك المؤسسات في خدمة مرتفقيها، خصوصا خلال فترة الأزمة الصحية والاجتماعية والاقتصادية التي فرضتها وضعية حلول واحتمال حلول الوباء بمختلف الفضاءات التي يتحرك داخلها المواطنون المغاربة.

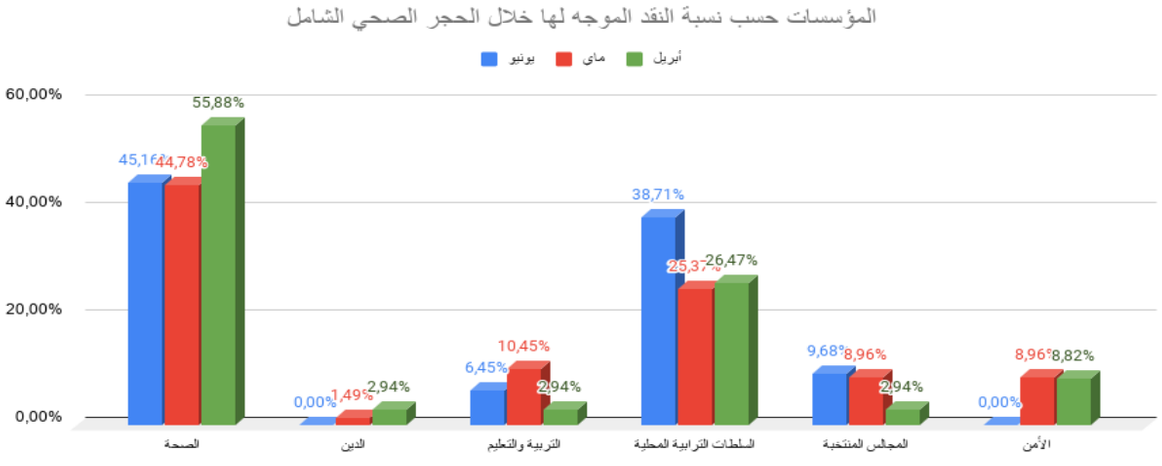

جرائد غير حزبية

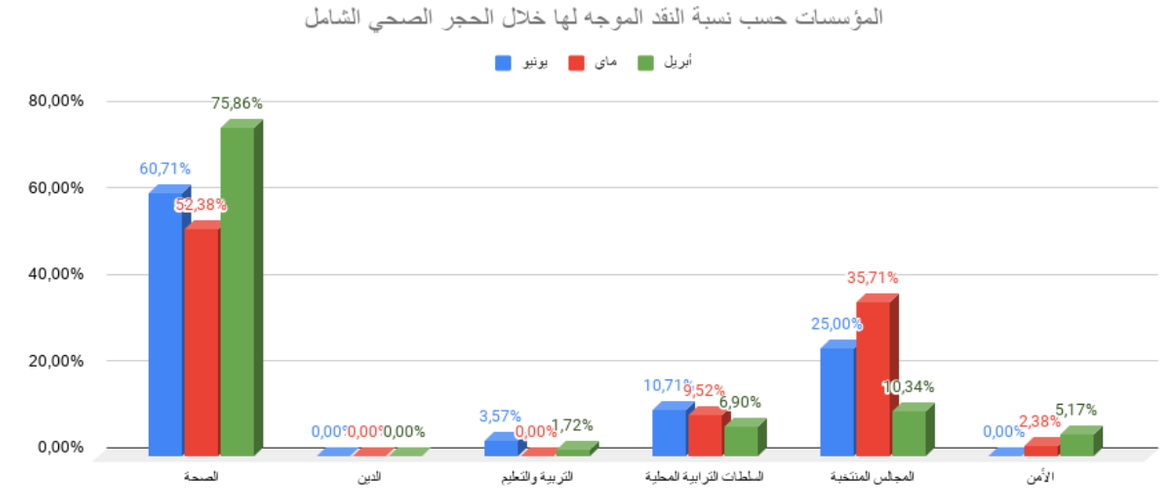

جرائد حزبية

الفصل الثاني: الفعل الصحفي وشروط إنتاج المواد الإعلامية في زمن الجائحة

لتعميق تحليل وفهم النتائج الكمية للبحث، كان من الضروري الحديث والإنصات بشكل مباشر للفاعل الأساسي ومنتج تلك المواد الإعلامية ألا وهو الصحفي(ة). هذا الصحفي(ة)، وجد نفسه بين ليلة وضحاها، أمام وضعية استثنائية غير مسبوقة، تميزت من جهة باجتياح وباء الكوفيد لدول العالم ومن بينها المغرب، ومن جهة ثانية أمام إجراءات استثنائية اتخذت لمكافحة هذا التفشي الفيروسي، وكان من بينها تعليق النشر الورقي للصحف بتاريخ 22 مارس 2020، مما اضطرها للتحول للنشر الإلكتروني المجاني.

من النشر الورقي إلى النشر الإلكتروني : هشاشة بأوجه متعددة

لقد فرضت الأزمة على الصحفيين تحولات غير مسبوقة على جميع المستويات. لقد كشفت هذه الأزمة عن ذوبان الحدود الفاصلة بين وسائل الإعلام والاتصال بما يتضمنه ذلك من أبعاد تكنولوجية واقتصادية وثقافية. هذه الخاصية، والتي كثفها الانتقال من النشر الورقي إلى النشر الإلكتروني، وإجراء المقابلات والاجتماعات عبر تطبيقات افتراضية، وفرت لممارسي مهنة الإعلام فرصا للارتقاء بمستوى المهنة. وبمقابل ذلك، طرحت هذه الوضعية الجديدة حدود الاختلاف بين الصحفي المهني وغير المهني بعد أن صار الأخير مرسلا ومنتجا للمواد الإعلامية ولم تعد محتكرة من قبل وسيلة إعلامية تقليدية.

وضعت الأزمة الصحفيين أمام تحديات بلغت حدود تماهي هويتهم المهنية، فلم يعد الصحفي المحترف المنتمي إلى مؤسسة إعلامية والتي تخضع لقانون الدولة التي تعمل بها، المنتج والمرسل الوحيد للمواد الإعلامية بل ظهر من يشاركه هذه المهمة ويقاسمه تقاليد مهنته وهو المواطن الصحفي. وبالإضافة إلى ذلك، شكلت الأزمة فرصة لكشف الواقع الصحفي للعديد من المؤسسات الصحفية أمام الأزمة الاقتصادية التي واجهتها المؤسسات نتيجة تعليق النشر الورقي التوقف النهائي لسوق الإعلانات الصحفية.

وهنا، يقر العديد من المستجوبين بهشاشة البنيات الصحفية التي يعملون داخلها. وبدت هذه الهشاشة على مجموعة من المستويات. فعلى مستوى وسائل العمل، أقر المستجوبون بضعفها بل وانعدامها في بعض الحالات. أما على مستوى الوضع الاقتصادي للصحفي، فقد أدى الانتقال من النشر الورقي إلى النشر الإلكتروني، إلى تصاعد المخاوف من التسريح أمام الصعوبات التي واجهتها المؤسسات الصحفية. أما ثالث مستويات الهشاشة، فيمكن ملاحظته على

مستوى إقرار الصحفيين بعدم وجود أي استعداد للتعامل مع الأزمة في مختلف مستوياتها. وحتى على المستوى النفسي، وجد الصحفيون أنفسهم في سياق متوتر نتيجة حساسية المعلومات المنقولة وإمكانية تأثيرها. وفي مستوى آخر، بدت هشاشة وضع الصحفي في طبيعة العمل الجديد الذي فرضته ظروف الجائحة والمتمثل في العمل المنزلي، وعن بعد. إن الانتقال إلى هذا العمل، ومن خلال المستجوبين، قد غير جذريا مفهوم العمل. لقد فرضت هذه الوضعية على الصحفيين ساعات عمل طويلة وبدون توقف ونتج عن ذلك تداخل زمني المهني والشخصي.

وبقدر ما شكلت الأزمة تهديدا للصحفي سواء في جسده وأسرته أو عمله، بقدر ما مثلت بالنسبة للبعض فرصة لزيادة الإنتاجية، خاصة مع الكم الهائل من المعلومات المتدفقة. وهكذا، أقر العديد من المستجوبين بارتفاع إنتاجيتهم نتيجة الكم الكبير من التقارير والتقييمات والاستراتيجيات الجديدة التي ظهرت إلى الوجود نتيجة الاستنفار العالمي لمواجهة الوباء. غير أن هذه المعلومات شكلت تحديا من نوع آخر للصحفيين، تمثل في محاربة الإشاعة والتحقق من المعطيات. وواجه الصحفيون المستجوبون انتشار الشائعات، انتشار المعلومات المغلوطة والموجهة، التلاعب بالصور والاكراه والمضايقة والتحرش وانتهاك الخصوصية.

الصحفي في زمن الجائحة سؤال الهوية والدور الوظيفي

لقد كشفت المقابلات التي أجريت مع عينة من الصحفيين، أن موقفهم من وباء كوفيد19 في الأول كان مطبوعا باللامبالاة وعدم الاكتراث" الفيروس كان بعيد على بلادنا". غير أن تسجيل أولى الإصابات بالفيروس في البلدان المجاورة ومن ثم في المغرب "جعلنا نعتبر الأمر جديا" يقول أحدهم. قبل أن يمتد الأمر إلى أن طرح تساؤلات عديدة عبروا عنها تركيبيا على الشكل التالي "ماذا ينبغي أن تكون عليه هويتنا كصحفيين في زمن الجائحة. ما هو دورنا خلال الجائحة هل هو الإخبار و لتعليق، النقد أم التبرير. وأية علاقة إعلامية ينبغي أن تكون مع الدولة والمجتمع".

هذه التساؤلات لديهم لم تكن تساؤلات محكومة بالبعد الإعلامي للحدث الوبائي وخطورته فقط، بل أيضا كونه حدثا إنسانيا يمس جميع البشر بمن فيهم الصحفيون. لذلك اعتبروا في مقابلاتهم أن جائحة الكوفيد تعاملوا معها كحدث إعلامي بصفتهم الصحفية وكحدث وجودي فردي. بمعنى أنهم يمكن أن يكونوا هم أيضا ضحية الوباء. لذلك عبر عدد منهم أن هدفهم لم يعد النشر ورفع نسبة القراءة والمشاهدة بالدرجة الأولى، بقدر ما أصبح الأمر أكثر شخصية وذاتية، فالفيروس يهددهم كما أقرب الناس إليهم لذلك ينبغي فعل شيء ما لمواجهة ذلك من موقعهم الصحفي. لقد عبر أحدهم أن هذه الوضعية القاسية أثرت حتى

على طريقة تفكيره وكتابته " ما كيبقاش القلم هو القلم، و مكايبقاش التفكير هو التفكير" (مقابلة 4، صحفي، 54 سنة).

ولكن المقابلات أظهرت أيضا، التصاق وتشبث الصحفيين بالأساس الذي يعطي معنى لوظيفتهم و دورهم، ألا و هو إنتاج المعنى الجمعي collective meaning للأحداث والأزمات للتأثير و إقناع العدد الأكبر من الجمهور.

ولكن، كيف يمكنهم إنتاج هذا المعنى الجمعي في سياق مغربي لأزمة وبائية عالمية غير مسبوقة، وصحفهم لم تكن تمتلك أية خطة تواصلية un plan de communication معدة بشكل مسبق لمواكبة جوائح من نمط الكوفيد 19 كما صرحوا بذلك في مقابلاتهم؟

وبما أن عامل الزمن وتدحرج الأزمة لم تكن لتسمح للصحف بإعداد مثل هكذا خطة، فقد كان عليها أن تجد مخرجا وحلا، خاصة في ظل الانتقال من النشر الورقي إلى النشر الإلكتروني وما يطرحه هذا النشر الأخير من إكراهات وضغوطات. وقد تمثل هذا الحل كما أبانت عنه المقابلات في ما يلي:

- على المستوى التقني الإجرائي:

تعليق العمل بالتخصصات الصحفية، ودفع مجموع صحفيي الجريدة إلى التركيز على موضوع واحد هو جائحة الكوفيد. وتتبع يومياتها في مختلف أبعادها الصحية والطبية، الاجتماعية والاقتصادية، السياسية والمؤسساتية...

وهكذا فرض الفيروس زمنا صحفيا خاصا به، حيث كل العمل الصحفي مرتبط به و يسير على وتيرة انتشاره وعدد ضحاياه. ليحتل أهم المساحات في الصفحات الأولى، ولتتوارى كل القضايا الأخرى بمختلف أشكالها إلى الظل. كما عملت بعض الصحف على الاستفادة، من التجارب السابقة لبعض من صحافييها في تغطية أوبئة فيروسية سابقة، هددت المغرب في الماضي القريب مثل (أنفلونزا الطيور والخنازير).

- على مستوى خط التحرير:

لقد كشفت المقابلات أن خلق المعنى الجمعي الذي عملت عليه الصحف المدروسة، لم يتم بشكل ذاتي طبقا لخطة استراتيجية تواصلية معدة سابقا. بل تم في المقام الأول بإعادة إنتاج وتدوير وإعادة الصياغة للخطاب الرسمي لمؤسسات الدولة إلى أن وصل درجة التماهي معه والذوبان فيه. وأساس هذا الخطاب الرسمي هو التعبئة الجماعية لمواجهة الوباء مع ما يتطلب ذلك من مجهودات وتضحيات. ولكن ما هي التبريرات التي أعطاها الصحفيون المستجوبون، لهذا التماهي والتمازج مع خطابات و إجراءات الدولة؟

- مسؤولية الواجب الوطني:

شبه عدد من المستجوبين هذه الأزمة الوبائية ب" حالة حرب"، "نكبة وطنية " يواجهها الوطن، يجب التجند لها كل من موقعه وعلى الصحفي أن يكون في مقدمة الصفوف. يقول أحدهم " جميع القطاعات انقطعت عن عملها، باستثناء الصحفيين المهنيين ظلوا يشتغلون بالشارع، ينقلون الأحداث. و يتم توزيع المهام في الجريدة في إطار الأفواج، لنقل ما يروج في الشوارع والمستشفيات، والعديد من الأماكن التي تقتضي منا نقل ما يجري داخلها" (مقابلة 5، صحفي، 39 سنة).

وهذا يعني أن الصحفي هنا غلب صفته كمواطن على دوره كصحفي مهني، باستدماجه للخطاب الرسمي في خطابه الصحفي، و هذا أدى كما لاحظنا ذلك، إلى تخفيف جرعة النقد الموجهة للمؤسسات الرسمية في تلك المرحلة من الأزمة، و تفادي خلق حالة توتر معها. يقول أحد المستجوبين " هذا ليس لأننا نغض البصر، وإنما نؤجل مسألة الانتقادات إلى حين... كل ذلك من أجل صالح الجميع لنخرج من الجائحة لبر الأمان بأقل الخسائر" (مقابلة 9،صحفية، 52 سنة).

وهناك من المستجوبين من عبر عن ذلك بلغة المسؤولية اتجاه الدولة ومؤسساتها وضرورة مساعدتها في زمن الجوائح و الأزمات الكبرى. حيث تكررت عبارات من قبيل" رفع الثقة في مؤسسات الدولة إبان الأزمة"، "مساعدة الدولة في تدبير الأزمة"،" مساعدة الدولة ومؤسساتها لاستمرار وظائفها".

- المسؤولية المجتمعية:

لقد أظهرت المقابلات أيضا، أن هذا الواجب الوطني لدى العينة المستجوبة مرتبط أيضا بالمسؤولية المجتمعية. حيث تم التركيز على أن المواد الإعلامية المنتجة حول الأزمة الوبائية، كانت بهدف إخبار الناس، التحسيس والتوعية للمساهمة في تجاوز الجائحة. يقول أحد الصحفيين المستجوبين:" 70 في المئة من دورنا كان عبارة عن ملفات ومقالات وربورطاجات، تشمل جانب التحسيس أكثر من أشياء أخرى. لأن هدفنا كلنا كان هو بقاء الفيروس في حدود معقولة" (مقابلة11، صحفي، 39 سنة).

- لهذا اعتبر بعضهم أنه إذا لم يتم مكافحة الوباء "ككتلة واحدة"..."يد واحدة" فإن " المغرب سينهار". فالتوعية و التحسيس مثلا بأهمية دعم مجهودات الدولة، و تقبل قساوة حالة الطوارئ الصحية، والالتزام بالتدابير الاحترازية في نظر عدد من الصحافيين، ستجنب انهيار المنظومة الصحية بتخفيف الضغط عليها، " فانهيار المنظومة الصحية سيؤدي على انهيار المغرب" يقول صحافي.
- كما نلحظ أيضا، أن هذه المسؤولية اتجاه المجتمع تأخذ عند العينة المستجوبة أشكالا أخرى يمكن تلخيصها في:

- لعب دور الوساطة، حيث تم اعتبار الصحافة كصلة ربط بين مؤسسات الدولة والمواطنين في اتجاهين تصاعدي و تنازلي ascendant et descendant. الدولة تبلغ المواطن عبر الصحافة وهذه الأخيرة ترصد و تعاين واقعه ووضعيته، لتنقل ذلك لصانعي القرار في ثنايا موادها الصحفية.
- لعب دور القوة الاقتراحية، حيث أبدى صحفيو العينة وعيا، بعدم البقاء سجناء فقط للخطاب الرسمي اتجاه الأزمة الصحية. التي ليس لها بعد صحي فقط، بل هناك تداعيات اجتماعية و اقتصادية، وهناك مشاكل حكامة و تدبير ؛ إذن لا بد من " التحليل و إبداء الرأي بطبيعة الحال" يقول أحدهم. ويضيف " دور الصحفي في هذه الظرفية الصعبة يكمن في مساعدة المؤسسات المقررة في البلد. إما بتقديم فكرة أو مقترحات، يعني أنه يساهم في عملية لاتخاذ بعض الإجراءات للتخفيف من حدة الأزمة" (مقابلة 4، صحفي، 52سنة).
- لعب دور قوة ضغط بشكل محدود، لقد أفصح بعض صحفيي العينة أنهم لجأوا أحيانا للعب بأوراق ضغط على السلطات الرسمية ومؤسسات الصحة العامة بهدف تغيير بعض استراتيجيات العمل أو باتجاه اتخاذ خطوات عملية لمكافحة الوباء. وكل ذلك من منطلق أن تفشي الوباء هو أزمة حقيقية لا ينبغي الاستهانة أو التراخي بخصوصها. حيث يقول أحد الصحفيين:" سقطنا في بعض الحالات في تضخيم المخاطر، وساهمنا في الخوف الجماعي على الصحة. لكننا في المقابل طالبنا بالحق في الصحة العامة كقضية اجتماعية" (مقابلة 10، صحفية، 38 سنة).

- المسؤولية الديونطولوجية: (الأخلاق المهنية)

إضافة إلى ما سبق، أظهرت المقابلات قدرا من الحس الديونطولوجي لدى عينة الصحفيين، لتبرير تماهي خطابهم مع الخطاب الرسمي. و لك على أساس أن مكافحة الوباء ينبغي ان تكون بتواز مع مكافحة وباء إعلامي آخر. يتعلق الأمر بمكافحة الإشاعات، الأخبار الزائفة والمضللة." صحيح لم تكن لدينا خطة تواصلية من أجل محاربة الأخبار الكاذبة في جريدتنا. لكن كل يوم كنا نعمل على تكذيب خبر معين حول كورونا " (مقابلة 7، صحفية، 41 سنة). ويقول آخر:" كان دورنا هو إيصال المعلومة الصحيحة، إنجاز تقارير، إنجاز مقالات، من أجل محاربة الأخبار الملفقة والإشاعات. لأنه كما تعرفين في أوقات الأوبئة هذه والكوارث، تروج العديد من الأخبار والإشاعات التي قد تؤثر على الرأي العام وتخلق التشويش لديه" (مقابلة 11، صحفي،: 50 سنة).

لذلك نجد عندهم ذلك التركيز على التحري والتأكد من الخبر قبل نشره لثقل المسؤولية زمن الجائحة. ولهذا كان التركيز أكثر على مصادر الخبر من جهات رسمية أو شبه رسمية. خاصة وأن المؤسسات الرسمية سهلت ذلك بشكل جلي كما يقول صحفي مستجوب" مصادر أخبارنا كلهم لديهم وعي بأنه يجب أن نتواصل في الحجر الصحي بوسيلة ما. ما يعني أنه لم نعد نسمع " قم بزيارتي في المكتب". كانت المعلومة متاحة عبر الهاتف والواتساب والفايسبوك. الكل يهدف إيصال المعلومة وتقديم الإفادة للمغاربة. يعني كانت هناك سهولة في عملنا. (مقابلة 12، صحفي،: 26 سنة)

كما لا ينبغي نسيان أن هذه المسؤولية الأخلاقية، و الطبيعة الصحية للأزمة وتشعباتها المختلفة، فرضت على الصحفي اللجوء إلى المصادر الرسمية كما أشرنا إلى ذلك، ولكن أيضا إلى المصادر العليمة والخبيرة. هذا التوجه هو كلاسيكي عند الصحفيين، ولكن الجائحة جعلته ضرورة قصوى بالنسبة لهم للتدقيق والتوثيق ومكافحة المعلومات المغلوطة. وهكذا نجد في عينة الصحفيين المدروسة، أن مصادرهم الأولى الثلاثة الموثوقة أتت على الترتيب التالي:

- ✓ أطر وزارة الصحة.
- ✓ أطر وزارة العدل، القضاة والمحامين.
- ✓ المتخصصون في العلوم الوبائية.

فالملاحظ إذن، أن الصحفيين المستجوبين يركزون على فاعلين مؤسساتيين بالدرجة الأولى خلال تغطيتهم الإعلامية، لسيطرة هاجس صحة الخبر ومصداقيته وعدم تعارضه مع سياسات الدولة في تدبير الجائحة. كما فرض ذلك ضرورة تكييف المعلومات المتحصل عليها من هذه المصادر حسب السياقات، كنتيجة لعمليات تفاوض ضمني بين وسائل الإعلام ومصادرها ومستقبلي خطابها للتحكم في كل آثار عكسية قد يخلفها الخبر في ظرفية وبائية جد حساسة للدولة والمجتمع.

رغم هذا الحس من الالتزام والمسؤولية الوطنية والمجتمعية الذي أبانت عينة الصحفيين المستجوبين، والذي شكل الخيط الناظم لتفسير تضخم تماهي خطابهم، بشكل عام، مع الخطاب الرسمي. فإنه يبقى من المشروع التساؤل عن الحدود الفاصلة في عدد كبير من موادها الإعلامية بين بعد الدعاية الرسمية (البروباغندا) وبعد العمل الصحفي المهني الصرف. فالفرق بينهما قد يكون غامضا غير محسوس، ولكننا سنحاول مقاربته من خلال مؤشر الحرية الصحفية والرقابة.

الحرية الصحفية والرقابة في زمن الجائحة

لقد خلصت دراسة نشرتها اليونسكو حول "الصحافة، حرية التعبير وكوفيد 19 19 إلى أنه يمكن أن يكون للأزمة التي أحدثها وباء COVID-19 تأثير على المدى الطويل، حول الوصول إلى المعلومات وحرية الصحافة في جميع أنحاء العالم. كما يمكن أن يؤدي إلى مزيد من القيود والمخاطر على الصحفيين، وكذلك إلغاء حقوق الصحافيين في نقل المعلومات وحقوق الأفراد في طلب المعلومات وتلقيها. وتشير ذات الدراسة، إلى أن الأمر يشمل جميع بقاع العالم، لكنه يصير أكثر احتمالية بالبلدان الحديثة العهد بالديمقراطية والتعددية الإعلامية، وحيث تخضع استقلالية الإعلام لتجاذبات النسق السياسي القائم ورهانات فاعليه.

هذا الوضع، ينطبق بدرجة أو بأخرى على السياق المغربي، حيث تفيد الكثير من الدراسات[20] إلى أن وضع الصحافة في المغرب، بصفة عامة، يخضع للسياق السياسي للبلد، حيث تنفتح حرية التعبير بهذا القدر أو ذاك، تبعا لموازين القوى بين الفاعلين. وتعمد العديد من هذه الدراسات إلى النظر إلى الحقل الإعلامي من وجهة نظر مقارنة، فيقارن وضع الصحف بالمغرب بتجارب البلدان الشرقية لما بعد انهيار جدار برلين أو بلدان الجنوب الأوربي بعد قيام الديمقراطيات الناشئة.

وعلاقة بعينة الدراسة من الصحفيين، نلاحظ أنه ثمة إجماع من طرفهم بكونهم مارسوا عملهم ورسالتهم الصحفية إبان الفترة المعنية بالبحث التي توافق فترة

---

[19]– Journalisme, liberté de la presse et COVID-19. Note thématique dans la série UNESCO : Tendances mondiales en matière de liberté d'expression et de développement des médias. Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture

[20]-انظر في هذا الصدد :

عبد الفتاح بنشنَّة،إدريس كسيكس، دومينيك ماركيتي، حالة الصحافة الورقية والإلكترونية في المغرب: اقتصاد سياسي بامتياز، مركز الجزيرة للدراسات، 20 فبراير 2020

2020

https://studies.aljazeera.net/ar/mediastudies/2019/02/190220130247546.html

تمت زيارة الرابط بتاريخ: 20 يناير 2021

الطوارئ والعزل الصحي الشامل، بكامل الحرية. بحيث صرحوا بأنهم لم يتعرضوا إلى أي ضغط أو تأثير أو رقابة قبلية أو بعدية من أية جهة "خارجة" عن مؤسستهم الصحفية.

كما أن حريتهم الصحفية لم تتأثر حسب تصريحاتهم، عند الانتقال من النشر الورقي إلى النشر الإليكتروني. يقول أحدهم: "لقد تناولنا المواضيع بحرية، والتي شملت أيضا مسألة الانتقاد التي تهم ما يخدم الصالح العام" (مقابلة11 ، صحفي، السن: 3)

لكنهم في المقابل يصرحون بأنهم أخضعوا أنفسهم لما سموه بالرقابة الذاتية عند إنتاج المواد الخبرية بخصوص الجائحة. غير أنه من الملاحظ طبقا لما جاء في المقابلات معهم، أن هذه الرقابة الذاتية التي تأخذ شكل خطوط وحدود وضعوها لأنفسهم بصفتهم كصحفيين مهنيين، تظهر على ثلاثة أشكال تقابل ثلاثة مستويات:

- المستوى الأول: الالتزام بالاشتغال داخل حدود الثوابت الوطنية، والقوانين التنظيمية للعمل الصحفي في المغرب.
- المستوى الثاني: رقابة مؤسساتية داخلية، تأخذ شكل الالتزام بتوجيهات رؤساء التحرير. وملاحظات الصحفيين على بعضهم البعض. وهناك من الصحف من وضعت لنفسها برامج داخلية خاصة مكلفة بفحص صحة المعلومات و المعطيات والأرقام و المفاهيم العلمية حول الكوفيد." فنحن نشتغل بشكل مستقل عن أية عن أية جهة خارجية ممكن أن تراقبنا. نحن نمتلك برنامج داخلي خاص بنا. أما الرقابة من جهة معينة فلا" (مقابلة 3، صحفية، 45 سنة). هذا إضافة إلى تصريح صحفيي العينة بكونهم منخرطون في استراتيجية صحفيون ضد الإشاعة، وهي استراتيجية مبنية على التأكد الشديد من الخبر قبل نشره، و اعتماد المصادر الرسمية درءا للوقوع في الخطأ و في مسألة تكذيب الخبر المنشور و ما لذلك من تبعات.
- المستوى الثالث: رقابة ذاتية بالمعنى الفردي المحض، والتي تأخذ شكل تعليق كل الآراء الشخصية والفردية لدى الصحفي، والتحكم في تلك الآراء حتى لا تتسرب للمادة الصحفية المنشورة، " لقد كنا رقباء على أنفسنا...نعتمد على كل ما هو رسمي غالبا، لأننا الآن في أزمة و يجب أن يكون هناك قائد وقت الأزمة و هو مؤسسة الدولة. فقد أصبح اللجوء لتوصيات رسمية ضرورة محتمة" (مقابلة 4، صحفي، 52 سنة).

واعتبارا لكل ما سبق، ونظير هذا الانضباط والالتزام "النموذجي" الذي أبان عنه الصحفيون المهنيون، خلال فترة الطوارئ الصحية و إجراءات العزل الشامل

لمكافحة تفشي فيروس كوفيد19؛ فقد نوه المجلس الوطني للصحافة في تقريره المرحلي يوم 7 يونيو 2020 تحت عنوان "كوفيد 19 رصد اخلاقيات مهنة الصحافة"، عملهم في ظرفية صعبة، وبقرار الصحافة الورقية الاستمرار في الصدور الكترونيا وبالمجان... كما ثمن المجلس تفاعل وزارة الداخلية، والمديرية العامة للأمن الوطني الإيجابي والسريع، بخصوص تيسير تحرك الصحفيين للقيام بواجبهم المهني خلال حالة الطوارئ الصحية، وعدم اقتصار ذلك على أطر الاعلام العمومي والاذاعات الخاصة. وفي هذا دلالة كبرى عن دور ووظيفة الصحافة المكتوبة بالمغرب، إبان زمن الجائحة.

التغطية الإعلامية زمن الجائحة: ذكورية طاغية

لقد كشفت المعطيات المتحصل عليها من البحث الميداني، أن الصحف الحزبية وغير الحزبية، تساوت تقريبا في إنتاج مواد لا يحضر فيها النوع الاجتماعي بوضوح. بحيث توجهت 98% من تلك المواد إلى جمهور القراء دون تمييز على أساس الجنس البيولوجي. في حين توجهت 2% في المئة منها إلى النساء بشكل واضح. بمعنى أن النسبة الساحقة من تلك المواد لم تكن "مجنسنة". وقد يكون المنطق في ذلك أن الجائحة لا تضرب ضحاياها طبقا لجنسهم.

أما إذا أخذنا مدى استحضار مقاربة النوع من منظور " النزعة النسائية" le féminisme، فإن نسبة 2 % المذكورة سابقا التي تخص النساء، تبقى ضعيفة وتعبر عن ذكورية طاغية في العمل الصحفي.

بمعزل عن هذين الطرحين يبقى من المشروع التساؤل، عن أسباب ضعف حضور المرأة كموضوع للمواد الصحفية، ولكن أيضا عن أسباب ضعف حضورها كمنتجة لتلك المواد، إذا أخذنا بعين الاعتبار تلك النسبة الصفرية (0%) التي رصدها البحث الميداني على مستوى مساهمة الصحافيات، في إنتاج الافتتاحيات والأعمدة الثابتة و أعمدة الرأي على مستوى الصفحة الأولى في صحف العينة المدروسة.

لفهم أسباب هذا الضعف في الحضور النسائي كموضوع وكمنتج للمواد الصحفية بخصوص جائحة كوفيد، يمكن اعتماد قراءتين:

قراءة من خارج، وهي من منظور مؤسساتي تنظيمي بحت، وغير مرتبطة بأي شكل من الأشكال بزمن الجائحة. والتي يمكن باعتمادها الربط بين ضعف الحضور النسائي بطبيعة علاقات السلطة وهرميتها، وتوزيع مناصب المسؤولية داخل المؤسسات الصحفية التي في المجمل هي من نصيب الذكور في عينة دراستنا على الأقل. والمؤشر على ذلك أن أعمدة الافتتاحيات والرأي في الصفحات الأولى لعينة الصحف المدروسة يستحوذ عليها الذكور باعتبارهم مدراء نشر أو تحرير.

قراءة من داخل، أي طبقا لما رشح عن المقابلات التي أنجزت مع عينة من الصحفيين والصحفيات. حيث نلحظ أنه باستثناء صحفية واحدة التي اعتبرت أنها قد استحضرت مقاربة النوع في المواد التي أنتجتها (مقابلة رقم 6، صحفية،46 سنة) لأن النساء في نظرها كن أكثر المتضررات في فترة الحجر الصحي، من حيث تعرضها للعنف وتراكم الأشغال والواجبات، إضافة إلى المعاناة النفسية والاقتصادية والاجتماعية.

فإن باقي الصحفيين من نساء ورجال، ركزوا على كون الجائحة لا تميز بين الرجل والمرأة. " فمقاربة النوع تصبح هامشية أمام حجم تحديات حفظ الحياة" أما " لمن يتوجه الخطاب هل للمرأة أم الرجل فهي مسألة ثانوية" يقول أحدهم أو "ترف un lux" تقول إحدى الصحافيات.

إضافة إلى هذا البعد الوجودي المرتبط بغريزة البقاء والنجاة، يحضر البعد المهني، في تغطية الجائحة وتوابعها المختلفة من متابعة الأحداث، جمع المعلومات الصحيحة وإيصالها للجمهور، التوعية والتحسيس. تقول صحفية: " فقط سياق الأحداث، وليس مسألة اختيار رجل أو امرأة. الإشكال كذلك حسب معاناة الأشخاص...لم أكن أختار النوع خلال تغطيتي. بل كان السياق الذي تفرضه الجائحة. لأن الكل كان يعيش في نفس الظروف أي الأزمة. يعني لم أكن أختار الاشتغال على المواضيع على أساس رجل أو امرأة (صحفية، مقابلة9 ، 50سنة). فالمسألة إذن لا تعني المرأة أو الرجل كنوع اجتماعي، بل تهم الجميع، تقول صحفية أخرى:" كصحيفة لامسنا مختلف الفئات الاجتماعية التي تهم جائحة كوفيد يعني المرأة، الطفل، الشخص المسن، ذوي الاحتياجات الخاصة، الذي يعاني من أمراض مزمنة، عليك أن تلمس كل فئة وتنصحها"(صحفية، مقابلة 2،: 42 سنة)

يظهر إذن، أن جائحة كوفيد 19 وخطورتها جعلت مقاربة النوع الاجتماعي، لا تُستحضر إلا بشكل عرضي في المواد الصحفية إنتاجا وموضوعا. فقد توارت هذه المقاربة أمام قوة التهديد الوجودي للجائحة للجميع بدون استثناء. ولكن أيضا بوجود عوامل هيكلية داخل المؤسسات الصحفية لا تسمح بهامش كبير لحضور وازن للمرأة الصحفية. هذه الأخيرة، ورغم هذه المثبطات المؤسساتية وقساوة ظرفية الجائحة، ينبغي تسجيل أنها قامت بوظيفتها الصحفية بكثير من المهنية والاحترافية.

خلاصات واستنتاجات

أثبتت نتائج بحثنا سواء من خلال المضامين التي روجتها الصحف أو من خلال المعنى الذي أعطاه صحفيوها للأزمة، أن أزمة كوفيد 19شكلت خطرا مهددا لوجود المؤسسات والأفراد على حد سواء، غير أن الشق الثاني من وجه الأزمة هو ما مثلته من فرص لفرض وجود الإعلام الورقي كفاعل احتفظ بمصداقية التأثير أمام تناسل المعلومات وتضاربها عبر وسائل الإعلام البديلة. وهكذا، احتل الفيروس التاجي الصفحات الأولى للجرائد المدروسة بنسب تفوق الخمسين في المائة خلال مرحلة الحجر الشامل. وهيمن خطاب الذعر والطمأنة عليها بشكل متفاوت حسب تطور الحالة الوبائية حيث شكل خطاب الذعر السمة المميزة لشهر ماي بحكم ارتفاع عدد الحالات. أما المؤسسات الأكثر إثارة للاهتمام، فجاءت في المرتبة الأولى وبدون مفاجأة المؤسسات الصحية. وبمقابل حضور قطاع الصحة اللافت في العناوين، وفي الأعمدة الثابتة للصحف المدروسة إلا أن هذا القطاع تعرض أكثر من غيره لأكبر قدر من الانتقاد، متبوعا بالخدمات الاجتماعية فيما احتل التعليم والأمن ذيل قائمة المؤسسات المنتقدة، فيما غابت الإحالة خلال هذه المرحلة على المؤسسات الدينية.

وبخصوص المعنى الذي أعطاه الفاعل الإعلامي، يمكن القول إن البراديغم المهيمن عليه هو اتجاه التماهي مع خطاب المسؤولية وضرورة الانضباط من أجل لعب دور التوعية والتحسيس ومحاربة الإشاعات المرتبطة بالفيروس. ومن خلال تحليل خطاب الصحفيين المستجوبين، يتضح أن التفاعل مع الأزمة خضع لنوع من الخوف من الانهيار الشامل للمنظومة الصحية، الاجتماعية والسياسية. وتقمص الصحفيون أدوارا مختلفة بدءا من الإخبار، محاربة الإشاعة، التحسيس، التوعية وصولا إلى مساعدة "الدولة" والسلطات في تدبير الأزمة، وهو ما يتوافق مع الدراسات السابقة حيث " أن الأزمات الصحية تدفع الصحفيين إلى تحويل دورهم من التقارير النقدية إلى التغطية الإعلامية الهادفة إلى إنقاذ الأرواح". وأمام انعدام وجود خطط تواصلية لإدارة الأزمات لجأت الصحف لعدد من التدابير الإجرائية من قبيل تعزيز الرقابة الذاتية، الإعلاء من المسؤولية الاجتماعية، وتشديد معايير الالتزام بأخلاقيات المهنة تفاديا لأي اصطدام مع المنظور الرسمي لتدبير الأزمة ووعيا بحساسية التغطية الإعلامية إبان زمن الأزمات. لكن اللافت أيضا في نتائج البحث عدم وجود فوارق دالة بين الصحف الحزبية وغير الحزبية في سواء في مناولة الأزمة حيث ظل الخطاب قريبا من المنظور الرسمي الهادف إلى احتواء الازمة بأقل الخسائر أو من حيث عناصر أخرى من قبيل ضعف المقاربة الجندرية. وهي نتائج تتطلب تعميق البحث للكشف عن بينة هذه النماذج الإعلامية السائدة وعلاقتها بالنسق المجتمعي والسياسي برمته.

التوصيات

من خلال الخلاصات والاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة، يمكن اقتراح عدد من التوصيات على ضوء التصورات، التي ساقتها عينة الصحفيين المستجوبين لتطوير الممارسة الصحفية، والاستفادة من دروس الجائحة الحالية:

إحداث تخصصات وتكوينات تواصل الازمة وإدارة الأزمات بالجامعات المغربية

كشفت الدراسة غياب خطة تواصلية لإدارة الأزمات والمخاطر، اضطر معها الفاعل الإعلامي إلى اللجوء إلى إجراءات تقنية لتدبير التواصل، كما تم استثمار القواعد المهنية للممارسة الصحفية وتقويتها. وهنا يمكن الاعتماد على هذه النتيجة لاقتراح إحداث تكوينات في الجامعة المغربية على مستوى سلكي الإجازة والماستر من أجل تقديم تكوينات، يكون الهدف منها تحضير الموارد البشرية الكفيلة بتغذية المؤسسات الصحفية وغير الصحفية، بأطر لها تكوين أكاديمي فيما يخص تدبير الأزمات.

تقوية قدرات الصحفيات لتولي مناصب المسؤولية

كشفت الدراسة عن تمثل إيجابي لدى الصحفيين، اتجاه ضرورة حضور مقاربة النوع الاجتماعي خلال التغطية الإعلامية. لكن بالمقابل غابت هذه المقاربة على المستوى الفعلي، وغابت أيضا مساهمة النساء في الصفحات الأولى والأعمدة الثابتة وافتتاحيات الجرائد. كما سجلنا عدم حضور النساء في مناصب المسؤولة داخل المؤسسات المدروسة وهو ما يفرض دعم تكوين الصحفيات وتقوية قدراتهن، للوصول إلى مواقع المسؤولية داخل مؤسساتهن الصحفية، وإجراء دورات تكوينية حول مقاربة النوع بالنسبة للصحفيين وخاصة لرؤساء التحرير والمشرفين على الصفحات.

مساعدة الصحف الورقية لبناء نموذج مزاوج بين الورقي والإلكتروني لاستثمار الأزمة كفرصة

أثبتت النتائج أن الصحافة الورقية، وبالرغم من كل المصاعب التي تعاني منها، حافظت على مستوى من المهنية. ولعبت حسب المستجوبين دورا رئيسيا في الإخبار، التحسيس والتوعية من منطلق المسؤولية. لذلك فالنظرية التي تعتبر نهايتها قريبة لا تصدق على كل نماذج الصحافة. لا بد إذن، من تمكين المؤسسات الصحفية من كل أشكال الدعم والتكوينات المناسبة تستثمر التقاليد المهنية للصحافة الورقية، من أجل بناء نموذج قادر على استثمار الإلكتروني للمحافظة على الورقي. هذا مع العمل على الحد من الهشاشة السوسيواقتصادية للصحفي.

صحافة متخصصة ومتمكنة من أدوات العمل عن بعد

واجه الصحفيون خلال تغطيتهم لهذه الأزمة الوبائية، صعوبة التأقلم مع المعطيات العلمية التي تطلبها استيعاب خطورة الفيروس الجديد، لذلك يبقى تشجيع الصحافة المتخصصة أساسيا، لضرورة الحاجة إليها في أوقات الأزمات، التي تعتبر فيها المعلومة او الخبر حساسا لإدارة الازمة والتحكم في تداعياتها. كما واجه الصحفيون تداعيات وإكراهات شروط العمل عن بعد، لنقص في توفير الوسائل التقنية اللازمة لهذا النمط من العمل. مما يتطلب تسهيل حصول الصحفي أو مؤسسته على هذه الوسائل بشروط تفضيلية.

إحداث قاعدة بيانات محكمة بشروط علمية

كشفت الدراسة على بعض النقص فيما يخص تأريخ الجائحات على المستويين المحلي والعالمي، وعليه يجب إحداث مركز وطني لإدارة الأزمات وظيفته توفير المعطيات للصحفيين ولصناع القرار حول مختلف أنواع الازمات وكيفية التعامل معها واقتراح إحداث شراكات مع مراكز علمية بحثية في العديد من المجالات ليسهل على الصحفي الاستفادة من بيانات منقحة علميا.

الملاحق

قائمة الصحفيين المستجوبين

المقابلة	النوع	السن	الديبلوم	التجربة المهنية	الموقع الحالي داخل المؤسسة الإعلامية
1	ذكر	57 سنة	دبلوم المعهد العالي للإعلام	37 سنة	صحفي
2	أنثى	42 سنة	الإجازة في القانون الخاص، وديبلوم معهد خاص	15سنة	صحفية بالجريدة ومشرفة على الموقع
3	أنثى	45 سنة	خريجة معهد الصحافة	17سنة	صحفية

4	ذكر	52 سنة	دبلوم من معهد خاص	24 سنة	صحفي وكاتب عمود رأي
5	ذكر	44 سنة	الباكالوريا + تداريب مهنية	23 سنة	رئيس قسم
6	أنثى	46سنة	إجازة في الاقتصاد تخصص	19سنة	صحفية بجريدة
7	أنثى	41 سنة	بدون ديبلوم مهني	15 سنة	صحفية محررة
8	ذكر	43 سنة	ديبلوم الدراسات الجامعية العامة	20 سنة داخل الصحافة	صحفي
9	أنثى	52 سنة	بدون ديبلوم مهني	22 سنة	صحفية
10	أنثى	50 سنة	إجازة في الآداب	سنة12	مشرفة على ملحق الجريدة
11	ذكر	50 سنة	إجازة في علم الاجتماع	20سنة	رئيس قسم
12	ذكر	26 سنة	الماستر	3سنوات	صحفي

لائحة الصحف التي شملها البحث

إسم الجريدة	نوعها	تاريخ التأسيس	الحزب الناطقة باسمه
العلم	حزبية	1943	الاستقلال
الاتحاد الاشتراكي	حزبية	1983	الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية
بيان اليوم	حزبية	1972	التقدم والاشتراكي
الأحداث المغربية	غير حزبية	1998	غير مرتبطة بحزب معين

المساء	غير حزبية	2006	غير مرتبطة بحزب معين
أخبار اليوم	غير حزبية	2009	غير مرتبطة بحزب معين

شبكة تحليل المضمون

شبكة التحليل

اسم الصحيفة:																	
العدد																	
التاريخ																	
نوعها																	
الصفحة الأولى	عدد العناوين المحيلة على كوفيد	العناوين	عدد كلمات كوفيد	العنوان	طبيعته			خصائص خطاب العناوين تجاه الممارسات الاجتماعية									
					عريض	رئيسي	ثانوي	إخباري	نقدي	تحسيسي	تبريري	استنكاري					
	العنوان 2																
	العنوان 2																
	العنوان2																
	المساحة المخصصة لكوفيد																
	جرد الكلمات المحيلة على كوفيد			تكرارها	حقلها												
					طبي	ديني	اجتماعي	سياسي	اقتصادي								
	خصائص الخطاب الإعلامي تجاه المؤسسات				سلبي			إيجابي					محايد				
	الصحة																
	الدين																
	التربية والتعليم																
	السلطة الترابية المحلية																
	المجالس المنتخبة																
	الأمن																
الأعمدة الثابتة	عدد العناوين المحيلة على كوفيد	العناوين	عدد كلمات كوفيد	العنوان	طبيعته			خصائص خطاب العنوان تجاه الممارسات الاجتماعية									
					عريض	رئيسي	ثانوي	إخباري	نقدي	تحسيسي	تبريري	استنكاري					
	العنوان1																
	العنوان2																
	العنوان3																
	المساحة المخصصة لكوفيد																
		جرد الكلمات المحيلة على كوفيد		تكرارها	حقلها												
					طبي	ديني	اجتماعي	سياسي	اقتصادي								
	خصائص الخطاب الإعلامي تجاه المؤسسات				سلبي			إيجابي					محايد				
	الصحة																
	الدين																
	التربية والتعليم																
	السلطة الترابية المحلية																
	المجالس المنتخبة																
	الأمن																

دليل المقابلة الخاص بالصحفيين والصحافيات

التقديم:

اسمي .....

اشتغل على إنجاز هذا البحث الميداني في إطار بحث تجريه مؤسسة منصات للأبحاث والدراسات الاجتماعية. يرمي هذا البحث السوسيولوجي دراسة تفاعل الصحافة المكتوبة بوجه خاص مع أزمة كوفيد 19 خلال فترة الحجر الصحي الشامل بين شهري مارس و يونيو وموقف الصحفيين المهنيين من هذه الازمة.

الهدف من هذا البحث علمي محض والآراء التي تعبرون عنها ستكون سرية confidentiel . لن نجمع أي معطيات خاصة بكم ولن يتم تقاسم المعلومات الخاصة بكم مع أي جهة ما عدا العلمي المحض.

مدة هذه المقابلة تدوم حوالي 30 دقيقة، نرجو أن يسمح وقتكم بذلك.

سنقوم بتسجيل هذا اللقاء صوتيا وتفريغ مضامينه قصد تحليلها بشكل علمي.

المشاركة في هذا البحث اختياري، نشجعكم على الإجابة على جميع الأسئلة ولكن لديكم الحرية التامة في رفض الإجابة عن بعض الأسئلة أو إنهاء البحث.

المرجو اخبارنا بشكل صريح بموافقتكم المشاركة في هذا البحث، بما فيها التسجيل الصوتي.

بعد قبول المستجوب:

تتكون المقابلة من ثلاثة محاور أساسية. المحور الأول يهم دور الإعلام خلال هذه الأزمة، ومحور يهم مقارنة بين رهانات التغطية الإعلامية ما قبل وما بعد الأزمة، أما المحور الثالث فيتطرق إلى آفاق الصحافة المكتوبة على ضوء الدروس المستخلصة من هذه الظرفية.

I. حول الإعلام المكتوب واستيعاب الأزمة الوبائية بالمغرب

❖ كصحفي مهني، كيف عشتم تجربة جائحة كوفيد19 ؟

- أزمة وبائية إنسانية غير مسبوقة، أم مجرد حدث إعلامي مثل أي حدث آخر؟.....
- هل يمكنكم التوضيح أكثر؟

❖ كيف تقيم وتقارن بين درجة الأهمية، التي أعطتها و سيلتكم الإعلامية لوباء كوفيد 19 قبل دخوله للمغرب؟ و بعد دخوله للمغرب؟

- هل كانت هناك فروقات؟
- وفي حالة وجودها ماهي هذه الفروقات؟

❖ كيف تجاوبت صحيفتكم مع هذه الأزمة الوبائية خلال مختلف مراحل تطور فترة الحجر الصحي الشامل؟

- هل وضعت صحيفتكم خطة عمل تواصلية un plan de communication لمواكبة الجائحة؟
- ما هي أهم عناصر هذه الخطة في حالة وجودها؟
- ومتى تم وضعها: قبل دخول الفيروس التاجي للمغرب أم بعد دخوله، انتشاره، و بلوغه مرحلة الأزمة الوبائية؟
- في حالة عدم وجودها؟ كيف تفسرون ذلك؟

❖ كيف تنظرون إلى تأثير أزمة كوفيد 19 كمادة إعلامية، على الخط التحريري للصحيفةّ و أولوياته:

- هل يمكن أن توضح نوع هذا التأثير؟

❖ كيف أثرت الجائحة كمادة للمتابعة الإعلامية، على موقعكم و دوركم داخل الصحيفة؟

- هل أثرت على أولويات اهتماماتكم الإعلامية داخل الصحيفة؟
- هل يمكنك الحديث عن بعض المشاكل التي واجهتكم خلال هذه الفترة؟
- هل يمكنك أن توضح هذه الإكراهات الجديدة في حالة وجودها؟
- ما هي الضغوطات التي واجهتكم خلال ممارستكم الصحفية إبان الجائحة؟

II. حول المواد الإعلامية المتعلقة بالأزمة الوبائية (كوفيد 19)

❖ كيف تعاملت صحيفتكم مع قرار الوقف المؤقت للنشر الورقي وتعويضه بالنشر الإلكتروني؟

- كيف عشتم تلك اللحظة؟
- هل كنتم مستعدون لها كصحيفة؟
- إذا كنتم مستعدين، هل يمكن ان توضح لنا كيف؟
- واذا لم تكونوا مستعدين، لماذا في نظركم ؟

❖ هل يمكنك أن تحدثنا عن المصادر التي ركزتم عليها كصحيفة، لتغطية الأزمة الوبائية و ما رافقها من حجر صحي شامل؟

- ما هي تلك المصادر؟
- هل كنتم تكتفون بالنقل عن تلك المصادر؟
- هل عملتم على التعليق عليها وإبداء الرأي أيضا؟ إلى أي حد؟
- هل عملتم على إنتاج مواد إخبارية خاصة بكم حول الجائحة، عبر القيام بتحقيقات صحفية أو زيارات ميدانية مثلا إبان فترة الحجر الصحي الشامل؟

❖ هل خضعت موادكم المنشورة المتعلقة بأزمة كوفيد 19، لأية رقابة قبلية أو ملاحظات بعدية من طرف "فاعلين" من خارج الصحيفة؟

- هل يمكن تحديدهم بالضبط؟ مع عدم الإلحاح عند عدم الجواب على هذا السؤال. مع تسجيل ملاحظة حول ذلك.
- ما كان مضمون تلك الملاحظات الرقابية في حالة وجودها؟
- هل يمكنكم التوضيح أكثر؟

❖ من هم الفاعلون والمتدخلون، الذين اعتمدت عليهم الصحيفة لتغطية أبعاد وجوانب من هذه الأزمة الوبائية؟

- الفاعلون: المقصود بهم أصحاب القرار، أكاديميون ومختصون، فعاليات سياسية و مدنية...الخ)
- كيف يمكن تبرير تلك الاختيارات لفاعلين أو متدخلين معينين؟

❖ ما هي الشروط والمعايير التي كانت تعتمدها هيئة التحرير، لتحديد المواد الصالحة للنشر بخصوص أزمة كوفيد19؟

- (التركيز على البعد الإخباري؟ أم على النقد و الكشف عن نواقص في استراتيجيات مكافحة الوباء من طرف الدولة و أجهزتها؟ البعد التراجيدي التهويلي؟ البعد التحسيسي التوعوي؟ ....

❖ هل كنتم تستحضرون بوعي وإرادة، مقاربة النوع الاجتماعي في موادكم الإعلامية المنشورة المرتبطة بالأزمة الوبائية؟ أم أن الأمر كان يمليه سياق الأحداث فقط؟

III. حول تقييم أداء الإعلام المكتوب خلال الجائحة والآفاق المستقبلية:

❖ هل تغيرت الممارسة الصحفية المهنية إبان الجائحة؟

- بين مرحلتي ما قبل وإبان الأزمة الوبائية؟ نعم... كيف ذلك؟
- بين مرحلتي النشر الورقي والنشر الإليكتروني إبان الحجر الصحي الشامل؟ كيف ذلك؟

❖ كيف تقيم مساحة حرية الصحافة بين مرحلتي ما قبل وإبان الأزمة الوبائية؟

❖ بين مرحلتي النشر الورقي و الإليكتروني؟

- هل زادت أم نقصت؟ وكيف تفسر ذلك؟

❖ هل لاحظت تغيرا في الخط التحريري لجريدتكم، بين مرحلتي النشر الورقي والنشر الإلكتروني؟

- هل يمكنكم أن توضحوا اكثر مناحي التغيير إن وجدت؟

❖ كيف تقيمون تجربة النشر الإلكتروني إبان فترة الحجر الصحي؟

- إرهاصات إعلام بديل وتهديد للإعلام المكتوب الورقي؟
- إعلام تكميلي له؟
- أم إجراء تقني لوجيستي فقط، فرضته ظروف الأزمة الوبائية؟.

❖ في نظرك، هل كانت الصحافة المكتوبة بالمغرب مستعدة مهنيا و لوجستيا للتعامل إعلاميا مع هذه الأزمة الصحية؟

❖ على مستوى شخصي ومهني، ماذا استخلصت كنتائج و دروس من تجربة المواكبة الإعلامية لجائحة كوفيد 19؟

❖ انطلاقا من هذه التجربة، ما هي مقترحاتكم وتوصياتكم لتطوير الممارسة الإعلامية خلال أوقات الأزمات الحادة بالمغرب؟

- معطيات حول المستجوب (ة):

النوع:
السن:
الشهادة:
المسار المهني
الموقع الحالي داخل المؤسسة الإعلامية

الصحافة الورقية بالمغرب و أزمة كوفيد 19

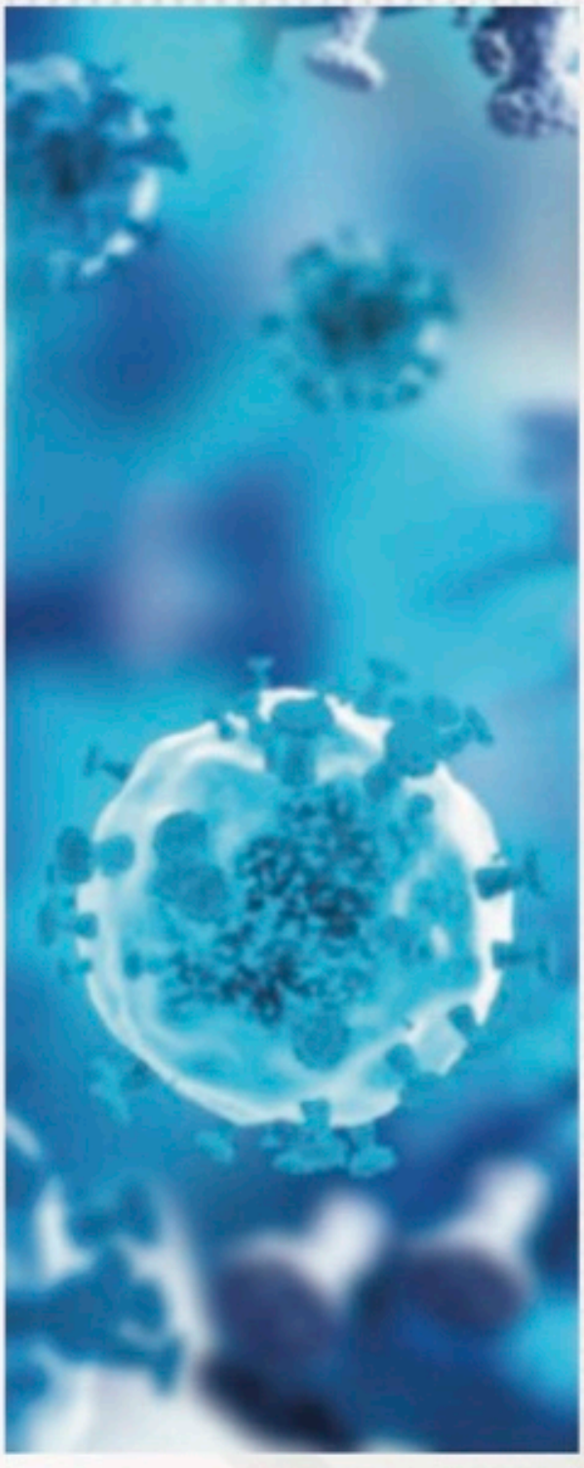

تسعى هذه الدراسة إلى وصف و تحليل و فهم بعض من جوانب الإنتاج الصحفي بالمغرب خلال فترة عصيبة و استثنائية، ألا وهي فترة تصاعد حدة جائحة الكوفيد 19، و ما استتبعها من إجراءات احترازية ؛ و ذلك من خلال الإجابة عن سؤال مركزي عام: كيف تفاعل الحقل الإعلامي، و خاصة الإعلام المكتوب مع هذه الأزمة الوبائية و تداعياتها المختلفة؟

و عن هذا السؤال الأساسي، تتفرع عدة أسئلة ستحصر كما ستوجه الدراسة، بغية تحصيل بعض الأجوبة بشكل منظم:

- ماذا أنتج الإعلام المكتوب بالمغرب خلال الأزمة الوبائية كمواد خبرية و صحفية؟ و كيف كانت وتيرته الزمنية؟
- ماهي مصادر تلك المواد الإعلامية؟ و ما هي محددات إنتاجها و نشرها؟
- كيف تعاملت تلك المواد الصحفية مع مختلف المؤسسات و المتدخلين في أزمة الكوفيد؟
- و هل تغير شكل و محتوى و اتجاه تلك المواد تبعا لنوعية الصحيفة إن كانت حزبية أم غير حزبية؟
- و ما هي الشروط المهنية التي أنتج فيها الصحفي مواده حول الجائحة؟ و إلى أي حد تأثرت هوامش حريته، و أخلاقيات مهنته تحت ثقل الأزمة و تداعياتها؟

Dépôt Légal : 2021MO5592
ISBN : 978-9920-9283-0-4
9 789920 928304

منشورات منصات
منصات
للأبحاث و الدراسات الاجتماعية